الطَائِش

أشخاص المسرحية

لالي : إبن بَنْدولْف.
سِيلي : عبدة تُروفَلْدان.
مَسْكاريل : خادم لالي.
هِيبوليت : إبنة أنْسيلْم.
أنْسيلْم : عجوز
تُروفَلْدان : عجوز
بَنْدولْف : عجوز.
ليائدر : إبن أُسْرة.
أنْدريس : رجل مصري.
الْكاسْت : خادم.
ساعي بريد .
فرقتان من المُقَنَّعين.

الأحداث تجري في مسيّنا (إيطاليا)

الفصل الأول

المشهد الأول

لالي.

لالي : هيا، يا ليانْدر. علينا ان نتبارى ونرى من منّا ستكون له الغلبة، ومن منّا سيفوز على خصمه. استعدّ إذاً وابْذُل أقصى جهدك. فأنا من جهتي لن تُثنيني عن انتصاري أية صعوبة.

المشهد الثاني

لالي، ومَسْكاريل

لالي : هيّا، يا مَسكاريل.
مَسْكاريل : ماذا تعني ؟
لالي : أمامي أمور عديدة، وأنا ميّال الى المشاكسة. فإن ليانْدر يحبّ سِيلي. وفي هذا الميدان لا يتورّع عن منافستي رغم تمسّكي بنظرتي المتطرّفة الى الامور.
مَسْكاريل : أحقّاً ليانْدر يهوى سيلي ؟

لالي : أؤكد لك أنه يعبدها.

لالي : تباً له.

لالي : نعم، ما أغباه. وهذا يضايقني. على كل حال، أكون مخطئاً ان يَئِسْتُ من هذا الوضع المُرْبِك، ما دمتُ أحظى بمساندتك، ويمكنني أن أطمئنّ الى مساعدتك. لأنك ماهر في تدبير المسائل، ولا يعسر عليك حلّ اية عقدة. لذا دُعيتَ حلّال المشاكل، ولا مثيل لك على وجه الأرض.

مَسْكاريل : مهلاً. لماذا كل هذا الاطراء ؟ فعندما اكون انا المسكين ملاذ العاشق المغبون، أكون الصديق العزيز أيضاً. وفي شتّى الظروف حين لا تنتهي المعضلات بواسطتي الى الفرج، أكون أكبر الدجّالين المحتالين، واستحقّ اقصى الاحتقار.

لالي : انت على ضلال في هذا الاستنتاج الخاطئ. على كل حال تعالَ نعالج مشكلتي. إن كان لا بدّ من اعتبار قضيتي عويصة بالنسبة الى ما أواجهه من العواطف الجامحة، أعتقد أن القَدَر يُخفي عني الكثير من مساوئ مزاحمي ومستواه الوضيع.

مَسْكاريل : انت شاب خيالي، تسعى وراء الاوهام. لكن ماذا يمكن بَنْدولْف ان يفعل في خِضَمّ هذه العراقيل. يقول ابوك في ساعات غيظه، انه يلومك بدون حساب عندما لا يعجبه سلوكك. وهو يتحدث باستمرار إلى أَنْسيلْم في موضوع اقترانك بالصبية هِيبوليت، إذ يعتقد أن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تهدئ روعك، وتعيد اليك رشدك. لأنك في خوض هذه المغامرة الغراميّة التي تسيطر على تفكيرك، تمرّدتَ ولم تعد تنصت الى صوت العقّل، ونبذت النصح والطاعة. والله يعلم كيف ستكون نهايتك المبهمة الحزينة بعد كل المواعظ التي ضربتَ بها عرض الحائط.

لالي : أرجوك أن تهادنني قليلاً وتحجب عني سيل بلاغتك العدائية.

مَسْكاريل : بل عليك أنت أن تبدّل سياستك الفاشلة. لأنها ستؤدّي بك الى أبشع النتائج ...

لالي : إعلم جيداً ان إزعاجي لن يفيدك، وإن إغضابي سيكلّفك غالياً، وان إرشاد الخادم سيّده لا يعطي أية ثمرة.

مَسْكاريل : حنقت، يا سيدي، بسبب ما قلته لك على سبيل المزاح، وأنا احاول أن أعرف حقيقة رأيك. هل يبدو عليّ اني من فئة الساخرين الهازئين ؟ وهل بيني وبينك من خلاف ؟ انت تعلم جيداً اني في الحقيقة بالعكس، من أخلص أصدقائك والمقرّبين اليك، ولا يسعك إلّا ان تعترف بما أمتاز به من الصفات الانسانية. أجل، لا سبيل الى الشكّ بصلاح نصائحي كأني أب عطوف. فاطرد عنك هذه الافكار السخيفة، ودعني أتصرّف لصالحك. لأنك على وشك أن تفقد صوابك، وبمثل هذه القصص البذيئة، تَحْمُل امثالك الشبان على نَبْذ أطايب الحياة الرائعة. وأنت اول من خَبِر مبادئي التي تقوم على بذل قصارى جهدي في خدمتك.

لالي : اراك تحاول كسب عطفي بأحاديثك الطليّة هذه. على كل حال عندما ظهر حبّي للعيان، لم أُغْضِب أحداً. غير أن ليائدر منذ هنيهة صرّح لي بأنه سيفعل المستحيل لكي ينتزع مني حبيبتي سيلي. لذا عليّ ان استعجل في الاهتداء الى وسيلة فعّالة سريعة لاستمالتها إليّ نهائياً ولو بالحيلة والخداع والمكر والنفاق، وأن لا أَدَع منافسي يتباهى باختطافها منّي.

مَسْكاريل : دعني أفكّر برهةً في هذه القضية الشائكة، وأرى ما باستطاعتي ان ابتكره من ضرب محكم يشيب له الاطفال.

لالي : وما هي هذه الحيلة التي سيتفتّق عنها دهاؤك ؟

مَسْكاريل : كم أنت عَجُول. لا يغربْ عن بالك ان دماغي يعمل دائماً بطريقة موزونة. ها قد وجدت ضالتي المنشودة. لا، لا، انا لا أبالغ. لكنك اذا ذهبتَ ...

لالي : الى اين ؟

مَسْكاريل : هذه خدعة طفيفة. لقد فكّرت بأمر ...

لالي : ما هو ؟

مَسْكاريل : لا، هذا غير ملائم. لكن ألَا يسعك أن ...

لالي : ماذا ؟

مَسْكاريل : ألا يمكنك أن تفعل ذلك ؟ عليك أن تكلّم أُنْسيلْم.

لالي : وماذا أقول له ؟

مَسْكاريل : بالحقيقة، ستنتقل من تحت المزراب الى تحت الشلّال. على كل حال، لا بدّ لي من التغلّب عليه. إذهبْ الى تروفلْدان.

لالي : لأي غرض ؟

مَسْكاريل : لست أدري.

لالي : هذا سخيف. في النهاية أنت تضعني في مأزق حرج مضحك.

مَسْكاريل : لو كان بحوزتك مسدّس، لما احتجنا الآن الى التفكير وعصر الدماغ كي نجد وسيلة مجدية، لا بدّ من الاهتداء اليها، لنتمكّن من شراء هذه العبدة المتنازع عليها، ودرء خطر خصمك العنيد عنك، بالشجاعة اللازمة للاقدام على ردّة فعل عنيفة وإنقاذ الموقف المحيّر. فإنّ تروفلدان خبير بشؤون هؤلاء المصريين، ويعرف من أين تؤكل الكتف عن طريق اغرائهم ببعض المال. وأنا واثق بأنه يعرف جيداً ايضاً كيف يشتريها منهم. فهو ماكر حريص يقبل حتى العار ان كان من ورائه أي ربح مهما كان زهيداً. فالمال في نظره إله فائق القدرة. لكن المصيبة ...

لالي : أية مصيبة ؟

مَسْكاريل : والدك خسيس آخر، لا يدعك تتصرّف بدراهمه على هواك. وانت احوالك الحاضرة هزيلة، لا تتيح لك بأن تنفق مالك في اي سبيل كان. علينا اذاً ان نفاتح سيلي بالموضوع لنعرف رغبتها وما تنوي عمله. ها هي نافذتها أمامنا.

لالي : لكن تروفلْدان يراقبها ليلاً نهاراً. فحذار من أن يبصرك.

مَسْكاريل : تعالَ ننتظرها في هذه الزاوية، لعلّها تطلّ علينا.

المشهد الثالث

لالي، وسِيلي، ومسكاريل.

لالي : أَشكر الله الذي منّ عليّ بمشاهدة عينَيْك النجلاوَيْن وملامحك الفاتنة التي يُبهجني أن أمتّع انظاري بحلاوتها.

سيلي : أُذني تهفو الى سماع صوتكَ العذب. وإن بدر مني ما لا يعجب خاطركَ، فكن على يقين بأني لم اقصده مطلقاً.

لالي : انتِ ارفع من ان تسبّبي لي أي إزعاج. فثقي بأن ليس بالامكان ان تضايقيني. واذا ...

مَسْكاريل : انتما تتخاطبان بلهجة لا مسوّغ لتبادلها الآن. فهذه التعابير لا مبرّر لها في وضعنا الحالي. إذْ علينا ان نستفيد من الوقت الذي يداهمنا، لنعرف منها ما ..

تُروفَلْدان (يدخل فجأةً) : يا سيلي ...

مَسْكاريل : ماذا دهاك ؟ ماذا تريد ؟

لالي : ما أقسى هذا اللقاء وأصعبه. هل يجوز لهذا العجوز ان يدخل علينا هكذا كهبوب الريح ويُقلقنا ؟

مَسْكاريل : هيّا انسحبْ أنت من هنا. فأنا أعرف كيف أكلّمه.

المشهد الرابع

تروفلْدان، وسيلي، ومسْكاريل، ولالي

(منفرداً في زاوية).

تُروفَلْدان (يوجّه كلامه الى سيلي) : ماذا تفعلين خارجاً ؟ وماذا حدا بكِ الى المجيء، وقد منعتك من التحدث الى أحد ؟

سيلي : لقد عرفت هذا الشاب سابقاً، ولا يجمل أن تظن به سوءاً.

مَسْكاريل : هل هذا هو السيد تروفلدان ؟

سيلي : هو بذاته.

مَسْكاريل : انا خادمك الامين، يا سيدي. ويسرّني جداً ان أُحيّي بكل تواضع رجلاً يذكر الجميع اسمه باحترام في كل مكان.

تُروفَلْدان : بل انا خادمك المتواضع.

مَسْكاريل : يُخيَّل اليّ اني جئت في وقت غير مناسب. لكني رأيتها في مكان آخر حيثُ تعرفتُ اليها، وتوسّمتُ فيها المواهب الغزيرة التي تتيح لها معرفة المستقبل، لذا أتيت أحدّثها في بعض الامور.

تُروفَلْدان : ماذا تقول ؟ هل تهتمّ أنت ببعض أعمال الشيطان ؟

سيلي : كلا، إن جلّ ما أفعله بعض شعوذات غير مؤذية.

مَسْكاريل : اليك ما يهمّني أن أبلغك اياه : سيدي يتوق الى كشف سرّ يريد الاطلاع عليه. فهو يودّ ان يتأمل معجباً بجمال الصبية التي يعبدها. لكن تنّيناً هائلاً يسهر على هذا الكنز النادر، ويمنعه من التطلّع اليها. وما يزعجه الى اقصى حدّ، هو انه اكتشف فيه خصماً لدوداً يحرمه من اي رجاء بتحقيق امنيّته العزيزة على قلبه. لذا جئت استشيرك لتهديني الى وسيلة تنيله مراده.

سيلي : الى أي برج ينتمي مولد سيدك ؟

مَسْكاريل : الى البرج الذي لا يدع حُبّه يتبدّل أبداً.

سيلي : بدون ان تذكر لي اسم من يهفو فؤاده اليها، ينبئني العلم بمعرفته، ويدلّني على اسم هذه الصبية التي تعرف كيف تحافظ على كرامتها حتى في

أصعب ظروفها، وإن لم تسمح لها أوضاعها بالكشف عن سرّ عواطفها. غير أني أعلم مثلها ما تشكو منه من جور الايام، ويمكنني ان اكشف لك مكنونات صدرها بكلمات وجيزة.

مَسْكاريل : ما أعجب فضائل سحرك المدهش.

سيلي : اذا كان هذا بالذات ما يقصده سيدك، وهدفه في هذه البادرة شريف كما يؤكّد، أنا مستعدة لتلبية طلبه، وباستطاعته ان يأمل بالحصول على مبتغاه. لأن وسائلي تساعده فعلاً على نيل المرغوب.

مَسْكاريل : هذا جميل. لكن لا تنسَ ان عناد منافسي يجعل ضالّتي المنشودة صعبة المنال.

سيلي : هذه هي العقدة العسيرة الحلّ.

مَسْكاريل : ليحمل إبليس الى اعماق الجحيم كل من يعرقل الامور.

سيلي : سأعلّمك ما يتحتّم عليك ان تفعله.

لالي (**وهو يقترب من الحاضرين**) لا تقلق، يا تروفلدان، فإن هذا الخادم جاء لمراجعتك .بناءً على أوامري، وليقدّم لك كل خدمة تحتاج اليها، ويكلّمك عنها هي التي يصبح بامكانها ان تتحرّر من قيودها، بيني وبينك، اذا دفعتَ مبلغاً يستحقّ الذكر.

مَسْكاريل : تبّاً لك من طمّاع جشع.

تُروفَلْدان : عجباً، الى أي قولٍ من الإثنين أُصغي ؟ لأن هذا الكلام الاخير يناقض ما تحدّثنا به اوّلاً.

مَسْكاريل : ألا تدري، يا سيدي، ان الهوس مسيطر على تفكير هذا العجوز ؟

تُروفَلْدان : انا أعرف ما أعرف، وأخشى أن يكون في الامر مكيدة. فعُدْ الى من ارسلك، ايها المحتال الخبيث، لاني اعلم جيداً مقدار دهائك ومكرك.

مَسْكاريل : حسناً. انا ايضاً، بدون أن أتبجّح، أدرى الناس بما يحملك على الغش والخداع. لماذا أتظاهر بما ليس فيّ، ونظير الطائش أكذّب بعد لحظة كل ما تلفظت به ؟

لالي : ظننت أن ما فعلته انا جاء في محله.

مَسْكاريل : أجل، قولك صحيح. لكن هذا لا يدهشني. لأنك خصب الخيال

في مثل هذه الظروف المعاكسة الى حدّ ان ابتعاد حلولك عن الواقع لم يعد يذهل أحداً.

لالي : يا إلهي، أراني وقعت في شرّ أعمالي. فهل اقترفتُ ذنباً لا يُغتفر ؟ على كل حال اذا تحققتْ رغبتي في الوصول الى سيلي، عليّ أن أتحسّب كي لا يعترض ليانْدر سبيلي، ويتمكّن من شراء هذه الفتنة. ولكي لا أثير الشبهات بحضوري ها هنا، أجدني مضطرّاً الى المغادرة حالاً.

مَسْكاريل : حسناً تفعل. صدّقني ان قلتُ لك إن المال افضل عامل للنجاح، وانجع علاج لهذه المشكلة، وإن لم اتوفّق بهذه الطريقة، لا بدّ لي من اللجوء الى سواها لنيل مرادي.

المشهد الخامس

أنسيلم، ومسكاريل.

أَنْسيلْم : أُقسم لك بحياتي إن عصرنا الحالي فريد من نوعه. وأنا خجول من شعوري بوفرة أمثال هذا الميل الى أعمال الشعوذة. فالديون في هذه الايام كالاولاد الذين يُحبل بهم بالمسرّة، ويولدون بالمشقّة. هكذا يدخل المال الى الجيب بفرح، لكن تسديده صعب، وردّه الى أصحابه مؤلم. لذا انا لا أصدّق أن مبلغ أَلْفَيْ فرنك أقرضته منذ سنتين كاملتين يُعاد اليّ بما أرجوه من السهولة.

مَسْكاريل : لله درّك من طريدة تُستَهدَف وهي طائرة في الجوّ. وأنا أتساءل إن كان باستطاعتي ان استرجع مالي، وأُناجيه بعبارات حلوة تشرح صدري. منذ لحظة شاهدت، يا انسليم ...

أَنْسيلْم : مَن ؟

مَسْكاريل : صديقتك نيرين.

أَنْسيلْم : وماذا قالت لك عني هذه المجرمة الخائنة ؟

مَسْكاريل : اظن أن قلبها مضطرم بحبك.
أنْسيلْم : هي ؟
مَسْكاريل : أجل. إنها تهواك الى حد الجنون. وتدلّهها يستدعي الشفقة.
أنْسيلْم : كم أفرحتني بهذا التصريح.
مَسْكاريل : كادت المسكينة ان تموت من قسوة الهجران، عندما تنهّدت وهتفت : يا حبيبي انسيلم، متى سيجمع عقد الزواج شمل قلبينا، وتتنازل أخيراً الى ارواء ظمأ شوقي اليك ؟
أنْسيلْم : لماذا لم تبح لي بهواها قبل الآن ؟ ما أغرب عواطف الصبايا المتكتّمات. ما رأيك فيها، يا مسكاريل ؟ أنا من جهتي رغم تقدّمي في السن، أجدني لا أزال قادراً على الفوز بإعجابها.
مَسْكاريل : نعم، حقّاً لا يزال وجهك مُرْضياً، وإن لم يكن أجمل محيّا بين العاشقين. على الأقل، هو مقبول.
أنْسيلْم : وبالنتيجة ...
مَسْكاريل : هي مغرمة بك، ولا ترى في الدنيا...
أنْسيلْم : ماذا ؟
مَسْكاريل : زوجاً، أفضل منك. وهي تودّ ...
أنْسيلْم : أتودّ ان تقترن بي ؟
مَسْكاريل : نعم، مهما كلفها الأمر. لذا عليك أن تفتح محفظتك ...
أنْسيلْم : ماذا تقول ؟
مَسْكاريل : لكي تنال كامل رضاها.
أنْسيلْم : أرجوك عندما تراها أن تعدّد لها صفاتي الحميدة.
مَسْكاريل : إطمئنّ من هذه الناحية.
أنْسيلْم : الى اللقاء.
مَسْكاريل : حفظك الله من كل مكروه.
أنْسيلْم : في الحقيقة، كدتُ أرتكب حماقة لا تُغتفر، وكان بإمكانك أن تتهمني بالبرود. ألْتمس منك أن تنوب عني في الإفصاح لها عن شدّة إعجابي وتعلّقي بها. ولقاء ما نقلته اليّ من أنباء سارّة، أظلّ عاجزاً عن مكافأتك كما

يجب، على اخلاصك لي. اليك اذاً ما يذكّرك بما عليك ان ...
مَسْكاريل : لا، لا. أرجوك. هذا أقلّ واجباتي.
أَنْسيلْم : بربّك، خذْ ولا تتمنّع.
مَسْكاريل : ابداً. انا اتصرّف، ولا غاية لي إلّا رضاك.
أَنْسيلْم : انا لا أجهل وفاءك ونزاهتك، مع ذلك ...
مَسْكاريل : لا، لا. قلت لك هذا غير ممكن. فأنا رجل شريف عفيف، ولا أقبل مطلقاً ...
أَنْسيلْم : اشكرك، يا مسكاريل، من كل قلبي.
مَسْكاريل : لا شكر على الواجب.
أَنْسيلْم : على كل حال، أريد بواسطتك أن أحقّق أُمنيتي. سأعطيك مبلغاً من المال كي تشتري لها خاتماً أو هدية مماثلة حسب ذوقك. وأرجوك أن تقدّمها لها من قِبَلي.
مَسْكاريل : لا لا. أتركْ مالك في جيبك الآن، وكن مرتاح البال. سأقدّم انا الهدية لها، وإن أعجبتها، ستدفع لي بعد ذلك ثمنها.
أَنْسيلْم : لا مانع عندي. لكن، لتكن الهدية جميلة تجعلها تفكّر بي بتقدير وحبّ واعجاب.

المشهد السادس

لالي وانسليم، ومسكاريل

لالي : لمن هذه المحفظة ؟
أَنْسيلْم : يا إلهي. كيف سقطتْ من جيبي ؟ كنتُ ظننتُ أنها سُرقت مني أنا ممتنّ جداً لأنك وفّرت عليّ قلقاً لا مزيد عليه بردّك اليّ مالي الذي سأخبئه في البيت.
مَسْكاريل : هذا في الحقيقة، عمل إنساني يستحقّ الشكر.

لالي : لولاي لكان فَقَدَ ماله هذا الى الابد.
مَسْكاريل : في الواقع، الضياع مزعج للغاية. وانا الآن مرتاح جداً، وأرى من الواجب أن أشكرك جزيل الشكر على هذا العمل النبيل. عليك أن تثابر على هذه الخطّة من النزاهة والإباء.
لالي : ما الامر ؟ وماذا فعلت ؟
مَسْكاريل : ما أحمقه. أبوه يضيّق عليه الخناق بإمساك ماله عنه، كأنه عدوّه. وحين أحاول ان افتح له باب الفرج، لا أسلم من مجابهة اللوم والعار وحدي.
لالي : لماذا ؟
مَسْكاريل : لشراء العَبْدة، أَجتهد للحصول لك على المال، فيحرمنا منه تصرّفك.
لالي : إن كان الأمر كذلك، فأنا مخطئ بدون أن أدري.
مَسْكاريل : على كل حال، لا بدّ من السعي بلينٍ وهدوء.
لالي : كان عليك أن تنبّهني بإشارة منك.
مَسْكاريل : نعم، كان عليّ أن أتصرّف بشكل يبهر عيون الجميع. بحقّ السماء دعني بسلام، ولا تسمعني أقوالاً غير لائقة. بعد هذا الحادث ربّما تعسّر الموضوع. على كل حال، أنا أفكّر بعمل بارع أريد سلفاً أن أتوقّع نتيجته، بشرط أن ...
لالي : لا، لا. أعدك بأن لا أتدخّل بأي أمر. فلن أقول ولن أفعل ...
مَسْكاريل : اذهب من هنا. فمرآك يثير سخطي.
لالي : إستعجل بنوع خاصّ، خوفاً من أن ...
مَسْكاريل : هيّا ابتعدْ، وإلّا استعملتُ يدي. علينا أن ننفّذ هذا المشروع بكل نجاح. فالملعونة ناعمة الملمس، واذا كتب لها التوفيق كما أتصوّر، لا بدّ لنا من ان نمضي ونرى بأمّ عيننا. ها هوذا الرجل الذي انتظره.

المشهد السابع

باندولْف ومسكاريل

بَنْدولْف : مسكاريل.

مَسْكاريل : سيدي.

بَنْدولْف : لنتكلّم بصراحة. انا لست مرتاحاً الى تصرّف إبني.

مَسْكاريل : انت لست المتذمِّر الوحيد من أفعال سيدي. فإن سوء سلوكه لا يُحتمَل، وقد نفد صبري على قبائحه.

بَنْدولْف : كنت أظن أنكما متفاهمان معاً.

مَسْكاريل : انا ؟ أرجوك أن تصحّح تفكيرك. من جهتي، أحاول أن أتمّم واجباتي نحوه، كي يعتقدِ الناس اننا على وفاق. بينما منذ هنيهة إختلفنا وتشاجرنا بسبب زواج هيبوليت الذي يعارضه الجميع لعدم ملاءمته، ولا سيما والده الذي يقلّل احترامه ويهينه.

بَنْدولْف : هل تشاجرا ؟

مَسْكاريل : أجل تشاجرا بوقاحة وعنف.

بَنْدولْف : ما أغباني إذْ ظننت أنك كنتَ تسانده في كل أعماله.

مَسْكاريل : انا ؟ إليك ما حدث مؤخّراً. أنت تعرف ان البراءة فضيلة مظلومة في هذه الأيام. فاذا ثبتتْ شهامتي، فلأني مرتبط بخدمته وأمين على مصالحه. فهل من واجبي أن اكون له مرشداً ايضاً، أنهيه عن مغامراته وأحرّضه على التعقّل والتروّي ؟ مع ذلك، كم وكم حاولتُ ان أثنيه عن سوء تصرّفه وانقياده الأعمى الى أهوائه. وكم شجّعته على الاقتداء بحكمةِ أبيه العاقل الرزين الذي يحظى باحترام الجميع، وكم دعوته الى الكفّ عن قهره وإذلاله في شيخوخته.

بَنْدولْف : هذا كلام نبيل. وماذا كان ردّه ؟

مَسْكاريل : جوابه ؟ ان هذا، بالنسبة اليه، هراء عديم الفائدة، يعتبره مضيعةً للوقت. وهو لا يقبل الوعظ والنصح من أحد. ولا هدف له في هذه الأيام إلّا

إرضاء حبيبته فقط، والخضوع، إن جاز لي الكلام بحرّيّة، لكل أهوائها بدون أي اعتراض.

بَنْدولْف : أفصح بالتفصيل.

مَسْكاريل : هذا سرّ يهمّني جداً ان لا ينكشف. لكن بالنسبة الى تحفّظك، يسعني أن أبوح به لك بكل إطمئنان.

بَنْدولْف : حسناً تفعل.

مَسْكاريل : اعلم جيداً ان آمالك خائبة بسبب غرام فرضتْه عبدة على إبنك المتهوّر.

بَنْدولْف : لقد بلغني بعض الانتقاد حول تصرفاته الشاذة التي قد أكّدتها أنتَ الآن لي.

مَسْكاريل : أرأيت كيف اني أهل لحفظ سرّك ؟

بَنْدولْف : حقّاً، انا مسرور جداً بأمانتك.

مَسْكاريل : مع ذلك، لا بدّ من تركه يقوم بواجبه ... وأنا أخشى المفاجأة. فماذا يحلّ بي إن اكتشف خطّتي ؟ ولا بدّ أيضاً من شراء هذه العبْدة الحبيبة، ونقلها الى بلاد اخرى بعيدة. لقد لاقى أنسيلم إستحساناً لدى تروفلدان. فليذهبْ ويتوسّطْ أمر شرائها لك منذ هذا الصباح. وإذا شئتَ بعدئذٍ ان تسلّمني اياها، إعلم أني أعرف تاجراً بإمكانه أن يسدّد لك المبلغ المدفوع، ورغماً عن إبنك يُقصيها عنه. حتى اذا صمّم على الاقتران بها تكون قد غابت عن عينَيْه وأمست بعيدة المنال.

بَنْدولْف : هذا حلّ مناسب يعجبني. ومنذ الآن أرى انسيلْم في حيرة من أمره. آنئذ نحصل على العبدة المنحوسة ونضعها بتصرّفك لتُكملَ أنتَ الباقي.

مَسْكاريل : هيّا بنا إذاً نُطلع سيدي على هذه الوسيلة الحاسمة. ولتحيا المكيدة، وسَقْياً للمحتالين الخبثاء.

المشهد الثامن

هيبوليت، ومسكاريل

هِيبوليت : تبّاً لك من خائن. أهكذا تخدمني ؟ ولا تتورّع عن إظهار خبثك. ودهائك، وأنا غافلة عن خساستك ونفاقك. لقد وعدتني، يا جبان، وأنا لا أزال أنتظر وفاء وعدك. فإذا بك تخدم ليانْدر حسب رغبة لالي، وتدّعي انك بذلك تُكرمني، وأنتَ تحرمني وتسعى الى إقصائي عن مشروع والدي. بينما في الحقيقة أنتَ تفعل عكس ما تقول. خسئتَ، فأنا أعرف طريقة أكيدة لانقاذ نفسي من هذه الصفقة التجاريّة التي تعقدها على حسابي وتحاول ان تزجّني فيها. وسأعرف كيف ...

مَسْكاريل : ما أعجلكِ في الاستنتاج المخطئ. ما لكِ تستشيطين غيظاً، وبدون أن يتبيّن لكِ إن كنتُ على صواب أو ضلال، تنظرين اليّ بعين الغضب كأني ابليس اللعين. سأحملك على قول الحقيقة قبل أن أنهي عملي، وأجبركِ على كشف الحقيقة ما دامت نواياكِ غير صافية في معاملتي على هذا النحو.

هِيبوليت : بأي سراب تريد أن تخدع عينيّ، أيها الغدّار ؟ وهل يسعكَ ان تُنكر ما سمعته منكَ الآن بأذني ؟

مَسْكاريل : لا بدّ لكِ من ان تعرفي أن هذه الخدعة ستكون في صالحك، وان هذه النصيحة السديدة التي تبدو غير مفيدة ستزرع الشقاق في قلب هذَيْن العجوزَيْن معاً. وأنا أتمنّى أن تقع سيلي في يد عاشقها لالي، وتجعل مفعول هذه المكيدة يقلب حبّها رأساً على عقب، فيستاء أنسيلم ممّن يدّعي انه صهره المزعوم ويقع اختياره على الشاب لياندر.

هِيبوليت : هل حقّاً، يا مسكاريل، حوّلتَ الى صالحي أنا، هذا المشروع الذي أغضبني ؟

مَسْكاريل : نعم، نعم، لأجلكِ أنتِ. ولكن، بما أن لا أحد يقدّر خدماتي المخلصة، لا بدّ لي من أن أتحمّل أهواءك. وبدل المكافأة أرى المشاكل

والشتائم والنعوت القبيحة تنهال على رأسي. لذا أريد أن أعوّض عن الخطأ الذي ارتكبته بدون أن أتوقّف عن مواصلة مسعاي.

هِيبوليت (**تمنعه من الذهاب**) : لا تعاملني بهذه القسوة، بل سامحني على فورة انفعالي لأوّل وهلة.

مَسْكاريل : لا، لا. دعيني أتصرّف، إذ بإمكاني أن أردّ كيد خصمك الى نحره. ومن الآن وصاعداً لن تتذمّري من إحاطتك بعنايتي ورعايتي، وأنا أعدك بأنكِ ستقترنين بسيدي حتماً.

هِيبوليت : يا لك من ساذج، أيها الغبي المسكين. خفف من حنقك، فأنا أعترف بأني أسأت الحكم عليك. (**تُخرج محفظتها من جيبها**). غير أني سأعوّض لك عن غلطتي بهذا المبلغ، وأرجو أن تعتبر هكذا أننا تصافينا.

مَسْكاريل : كلّا، كلّا، مهما حاولتِ لن تتوصّلي الى فضّ المسألة على هذا الشكل غير المنصف. ومهما شوّش استعجالك سير الامور، إعلمي أن قلبي النبيل لا يجرحه إلّا الشك بحسن نيّتي.

هِيبوليت : لا أُنكر أني أهنتك بخشونة كلامي، وآمل ان تشفي هذه الليرات الذهبية جراحك سريعاً، لأن الدراهم كالمراهم تُبرئ أبلغ الجراح.

مَسْكاريل : هذا لا يهمّني. فأنا لا أحقد على أحد. وها قد همدتْ فورة غضبي، اذ لا بدّ من إحتمال إساءة الاصحاب والأحباب.

هِيبوليت : هل يسعك أن تنجز ما أقترحته عليك ؟ وهل تجد في نفسك البسالة كي تمهّد لحبّي سبيل التوفيق وتحقيق أحلامي ؟ ما رأيك ؟

مَسْكاريل : لا تقلقي من هذا القبيل. فَلَدَيّ لكل علّة دواء. وحين لا تنجح حيلتي، لا بدّ لي من الاهتداء الى علاج آخر أفضل منه، وما لا أستطيع عمله أنا شخصياً، يقوم به سواه.

هِيبوليت : ثقْ بأني لن أنسى فضلك ما حييت.

مَسْكاريل : انا لا أنساق وراء الكسب المادّي.

هِيبوليت : سيدكَ يستدعيك، ويريد ان يكلّمك. أنا ذاهبة. إجتهدْ أن تُتقن عمل ما تنوي تنفيذه بدقة.

المشهد التاسع

مسكاريل، ولالي

لالي : ماذا تفعل هنا، أيها الشقي ؟ لقد وعدتني بأن تصنع المعجزات. لكنني أرى أن بطء سعيك لا مثيل له. وأخشى، على هذا المنوال، أن تبدّد كل ما أرجوه من سعادة وصفاء. وهكذا أفقد الأمل والمال، وأُمسي فريسة الخيبة والندم. بالاختصار، لو لم أصادفك، لفاز أنسيلم حتماً بالعبدة التي تكاد تُفلت من يدي. فقد استدرجها منافسي الى منزله. غير أني استدركت الأمر، وفشّلت له خطّته لئلا يحتجزها تروفلدان الخبيث عنده.

مَسْكاريل : نحن الآن ثلاثة، لكن حين نصبح عشرة نشكّل سدّاً منيعاً في وجهه، يعود الفضل فيه لي ولدماغي الخلّاق. لقد توهّم انسيلم ان الصفقة قد تمتّ. فكان علي أن أُمسك زمام الأمر بيدي كي أستلمها أنا. هل يمكن بعد الآن ان يتكلّل سعيه هذا بالنجاح ؟ إني أفضّل ألف مرة أن اكون ضحية، على أن أصبح أداة هدم جهنميّة في قبضة إبليس.

لالي : علينا أن نقودها الى أحد الفنادق، وندع غيظه يتعاظم وينفجر كالقنبلة.

الفصل الثاني
المشهد الأول

مسكاريل، ولالي

مَسْكاريل : كان لا بدّ من مطاوعة تعنّتك. ورغم حلفاني، لم أتمكّن من الامتناع عن صون مصالحك التي نويت أن أتنصّل منها ومن التورّط بمشاكل جديدة. صدّقني، لو جادت الطبيعة عليّ بالمواهب، لكنت أريتك ما باستطاعتي أن أفعل. على كل حال، لا تتوهّم أنك قادر على النيل منّي. فأنا أعتذر من انسيلْم لأني أحاول باستمرار أن أحصل منه على ما أشاء. إلّا اذا أدّتْ بك قلّة تحفّظك الى ضياع كل ما ترجوه وتمنّي به نفسك.
لالي : لا، لا. هذه المرة سأكون حريصاً وشجاعاً. وسترى مني العجب.
مَسْكاريل : تذكّر اني بدأت تنفيذ خطّةٍ جريئة. فأبوك يتهاون في كل المجالات، وإن وافاه الأجل سيقضي على كل أحلامك. سأنشر الخبر بأني قتلته، أو بالحري سبّبت له الاختناق فجأة، ففارق الحياة. غير أني تداركت هول نبأ هذه الفاجعة، فقصصتُ على الجميع أنه توجّه الى مخازنه حيث أرسلتُ من يقول له ان العمّال احتلوا مبناه وراحوا يحفرون الخنادق حول اساساته لعلّهم يجدوا الكنز الذي قيل لهم أنه مدفون في أحد أركانها. فأسرع الى منزله حالاً برفقة عدد من خدّامه وأفراد عائلته، ما عدانا نحن الاثنَيْن. على كل حال، قُضي الأمر، واليوم يُحتفَل بتشييع جثمانه. فعليك أن تقوم بواجبك وتمثّل دور الابن المفجوع. فما رأيك في هذا التدبير الذي اذا لم يعجبكَ ولم

يُسفر عن النتيجة المرتقبة، يمكنك أن تعتبره فاشلاً بسبب حماقتي أنا. **(يخرج)**.

لالي (وحده) : ما أدهى تفكيره الذي يخلق فيه شخصاً غريب الاطوار، يدأب ساعياً في سبيل تحقيق رغباتي وسعادتي. حقّاً حين يكون الانسان عاشقاً لا يدع باباً إلّا طرقه للوصول الى مبتغاه. ولو كان الحب حجّة للتغاضي عن الجرائم والفتن التي تنجم عنه باللجوء الى الاحتيال والخداع، لاضطررتُ أنا اليوم الى تقبّلها بهدوء. يا إلهي، كم يمر الوقت بسرعة، وأرى أنّ ما قيل، على وشك التنفيذ. فلأستعدّ إذاً للقيام بدوري.

المشهد الثاني

مسكاريل وانسيلم

مَسْكاريل : سيفاجئك الخبر المشؤوم.

أنْسيلْم : حقاً، لمن الغرابة، ان يموت المرء هكذا.

مَسْكاريل : لا بدّ من ان يكون محقوقاً. فأنا أعرف جيداً ما لا يتورّع عن إرتكابه من الفظائع.

أنْسيلْم : لم يتّسع الوقت لكي يقضي عليه المرض.

مَسْكاريل : كلا، لم اسمعْ احداً مات بمثل هذه العجلة.

أنْسيلْم : ماذا فعل لالي ؟

مَسْكاريل : هدّت المفاجأة حيله بدون أن يشعر بأي ألم. والمدهش أن يؤكّد أنه اصيب بجراح وكَدْمات عديدة وهميّة. ويبدو عليه أنه يودّ أن يلحق بأبيه الى القبر من شدة تأثره وغمّه. حتى أنه إستعجلني في دفن جثمان الفقيد خوفاً من ان يُثير الظنون ويستقطب الشبهات بهذا الحادث المشؤوم.

أنْسيلْم : على كل حال، كان من المستحسن أن تنتظر حتى المساء. لأن من

يستعجل الدفن لا يتورّع عن القتل، ويلفت الانتباه بذلك الى امور خفيّة.
مَسْكاريل : أؤكد لك انه مات فعلاً. لنعد الى الحديث الذي دار بيننا منذ هنيهة عن لالي (**وعن عمله الذي سيعود عليه بالفائدة**). فإن فخامة تشييع جثمان أبيه ستُدخل على قلبه بعض العزاء. فضلاً عن المال الذي سينتقل اليه بالوراثة. لكن، نظراً الى كثرة مشاكله، يرى ذاته قليل الخبرة في مشاغله الجديدة. هذا ما عدا كثرة الأوراق التي تُربكه، فيضيع في متاهات فحواها ومرماها. لذا يرجوك بإلحاح ان تعذره على ما بدر منه نحوك من خشونة وقلّة تقدير. ويأمل مع ذلك بأن تساعده في لفلفة شؤونه.
أنْسيلْم : لقد أبلغتني ذلك سابقاً. وأنا أنوي أن أقابله.
مَسْكاريل : الى هنا تبدو الأمور سائرة على ما يرام. فلنحاولْ ان نجعل الآخرين يتجاوبون معه، ولا يقيمون العراقيل في دربه.

المشهد الثالث

لالي، وانسيلم، ومسكاريل.

أنْسيلْم : تعال نخرج ونواجهه. فإني نظراً الى الألم الذي يعانيه، رأيته هذا الصباح مرهقاً مشتّت الافكار.
مَسْكاريل : مع ذلك، لا يُستبعَد ان يقطع الانسان أحياناً شوطاً طويلاً في وقت قصير.
لالي : هل تعتقد ذلك ؟
أنْسيلْم : لما لا ؟ مسكين عزيزنا لالي. هذه أول مجابهة تجري بينه وبين الموت بفقدان المرحوم والده.
لالي : ماذا تقول ؟
أنْسيلْم : ما أشرس الموت الذي ينقضّ على بني البشر بدون أي انذار ويذيقهم أقسى العذاب.

لالي : يا لهول المصيبة.
أَنْسيلْم : لا أحد ينجو من تجرّع هذه الكأس التي يضطرّ الجميع الى شربها بلا استثناء.
لالي : تبّاً للمكتوب الذي لا يستطيع أحد أن يهرب منه.
مَسْكاريل : مهما تفجّعتَ ومهما ندبتَ لا مفرّ من هذا المصير المحتوم.
أَنْسيلْم : اذا كنت غير قادر على سلوان هذا المصاب، على الأقلّ كن معتدلاً وتحمّلْه بالصبر الجميل.
لالي : وأنّى لي ذلك ؟
مَسْكاريل : مهما بكيتَ وانتحبتَ لن يعودَ والدك رحمة الله عليه.
أَنْسيلْم : على كل حال، بناءً على توصية خادمك، جئتك الى هنا بالمال اللازم لتشييع جثمان المرحوم أبيك.
مَسْكاريل : كم يثقل هذا الحديث كالكابوس على صدره. ألَا يسعه ان يفكّر في الأمر بدون أن يتألّم هكذا ؟
أَنْسيلْم : لقد بلغني أنك علمت من أوراق المرحوم ما هو المبلغ الضخم الذي أدين له به. وبما أني أريد مساعدتك، يمكنك اعتباره كأنه مسدَّد، لتستخدمه في الانفاق على الجنازة.
لالي (وهو يخرج) : ما هذه الشهامة.
مَسْكاريل : هذه منّة كبيرة يقدّرها لك سيدي حقّ قدرها.
أَنْسيلْم : على كل حال، أعتقد أنّ من الأنسب أن يكتب لي إيصالاً بهذا المبلغ.
مَسْكاريل : ماذا تقول ؟
أَنْسيلْم : الموت والحياة بيد الله.
مَسْكاريل : تفكيرك في غير محلّه.
أَنْسيلْم : هيّا احمله على توقيع الإيصال الذي طلبتُه منه.
مَسْكاريل : في هذا الظرف العصيب، لا سبيل الى تلبية رغبتك. أترك له المجال حتّى ينسى قليلاً هذا المصاب. وعندما أجد أن روعه قد هدأ، لن أتأخر عن تأمين الايصال الذي تُلحّ عليه. الى اللقاء. لقد ثقل الحزن على صدري،

وأودّ أن أشاركه في نحيبه لعلّي أُفرّج شيئاً من كربتي. (يخرج).
أنْسيلْم (**وحده**) : العالم حقاً مليء بالمفارقات. وكل إنسان يغنّي على ليلاه. آه من بلايا هذه الدنيا الخداعة الفانية.

المشهد الرابع

بندولف وانسيلم

أنْسيلْم : يا إلهي. أكاد أختنق كدراً، كأن بندولف عائد من عالم الاموات بعد رقاد طويل. كم نَحُلَ محياه منذ حادثة وفاته. قِفْ عندك. أرجوك أن لا تقترب مني لأني أكره مجاورة شبح الموت.

بَنْدولْف : ما هو مصدر هذا التأثر الغريب ؟
أنْسيلْم : أصدقني، ماذا أتى بك إليّ ؟ اذا كنت تريد وداعي، لماذا تحمّلتَ مشقّة المجيء إليّ ؟ هذه مجاملة مبالغة، وأنا في غنى عن سماع تحسّراتك. واذا كنت في ضيق، ونفسك تطلب الصلاة، فأنا أعدكَ بأن لا أنساك في دعائي الى الله. وسأبادر بعد برهة الى الإلتماس من ربي كي يجود عليك بالأمان وراحة البال. فأرجوك ان تعود من حيث أتيت والله يعوّض عليك بالخير والبركة.
بَنْدولْف (**وهو يضحك**) : رغم كل ما أشعر به من الغبْن لا بدّ لي من المشاركة بالأسى.
أنْسيلْم : أرى أنك بصرف النظر عن وفاتك، لا تزال تتمتّع بالهمة والنشاط.
بَنْدولْف : هل هذا لعب بالكلام، أم هوس جهنّمي ؟ كيف تعتبرني ميتاً وأنا لا أزال، كما تراني، على قيد الحياة ؟
أنْسيلْم : يؤسفني ان تكون في عداد الأموات، وأن أراك هنا ثانيةً.
بَنْدولْف : ماذا تقول ؟ هل أنا ميْت بدون أن أدري ؟

أَنْسيلْم : حالما أخبرني مسكاريل بهذا النبأ الحزين، أَحْسَسْتُ كأن فؤادي يتفطّر من الألم.

بَنْدولْف : لكن، قلْ لي، هل أنت نائم أم مستيقظ ؟ هل عرفتني ؟

أَنْسيلْم : انت ترتدي جسداً هيوليّاً يشابه جسمك الأصيل، ربّما يتبدّل بعد برهة وتصبح شخصاً آخر. وأخشى أن اراك تكبر كالمارد وأن يقبح منظرك. بربّك، لا تتّخذْ وجهاً بشعاً. فأنا شديد الفزع حيال وضع كهذا.

بَنْدولْف : في ظروف أُخرى، كانت سذاجتك، يا أنسيلم، وسرعة تصديقك الترّهات، تجاهلاً ربما مقبولاً. لكن بمثل هذه الميتة التي قد تُعتبر كنزاً يسهل إنتزاعه مني في الطريق، وهو يحوم حول نفسي كشبح خبيث يهتف بي : ان مسكاريل مراوغ لعين لا يخاف الله ولا وخز الضمير، ولا يتورّع عن إتيان أسفل الموبقات في سبيل بلوغ مآربه.

أَنْسيلْم : هل أنت تمثّل امامي مهزلة ؟ هل حقّاً أنت واقف هنا بلحمك وشحمك ؟ دعني ألمسكَ لأوقن بأنك في الواقع أنت شخصياً هنا لا طيفك الوهمي. تبّاً لحماقتي في هذه الأيام المريعة .. أرجوك أن لا تنشر هذا النبأ المزعج الذي يجعل الناس يلهجون بذكر ما يخجلني. لكن أرجوك، يا بندولف، أن تساعدني على استرداد مبلغ المال الذي دفعته لتأمين دفنك.

بَنْدولْف : تقول : إسترداد مبلغ المال ؟ إذاً أنت ساهمت فعلاً في تأكيد موتي. وهذا لبّ الموضوع في هذه المغامرة المشؤومة. أنا لن اهتم كثيراً بالتالي لمقاصصة مسكاريل، إذا ثبت عليه أنه العامل الأكبر على تدبير هذه المكيدة المهزلة. ومهما كلّف الأمر سأعاقبه بصرامة.

أَنْسيلْم : ما أغباني، انا المخدوع. لأني صدّقت أكاذيب محتال منافق. لا بدّ لي اليوم بالذات من ان أقتصّ منه. فقد شيّب شعر رأسي بهذا النبأ الملفّق الذي كان عليّ أن أشكّ بصحته وأتقصّى حقيقته الكاذبة. لكنني أرى ...

المشهد الخامس

لالي وانسيلم

لالي : بهذه المباغتة، يمكنني أن أقابل تروفلدان، وأنا مطمئن البال.
أنْسيلْم : على ما ألاحظ، قد خفّ ألمكَ.
لالي : ماذا تعني ؟ لن يخفّ وجعي لأن الحزن يمزّق فؤادي.
أنْسيلْم : لقد عدت أدراجي لأخبرك بصراحةٍ أني منذ برهة ارتكبت خطأ فادحاً بحقّك. وهو أن بين الليرات الذهبية التي تبدو جميلةً برّاقة، هناك بضعة ليرات مزيّفة. وها انا مستعدّ لاستبدالها، لأنّ العملة المزيفة منتشرة في هذه الأيام جَهْراً وبوقاحة في هذه الدولة، ولا سبيل الى عدم الشك بما نقبضه منها. يا إلهي، كم أتمنّى شنْق جميع المزيّفين.
لالي : يسرني أن تستردّ المزيَّف. لكني لم ألاحظْ بينها قطعاً مريبة.
أنسيلم : هيّا بنا أرني اياها فأنا أعرفها. هل هذا كل ما تريده ؟
لالي : نعم.
أنسيلم : يا مالي العزيز عُدْ الَى جيبي. وانت أيها المحتال الخدَّاع. لم يبق لديك أي عذر. أنت تقتل الاشخاص الأصحّاء. فماذا فعلت بي أيها الحَمُو الغشّاش ؟ حقاً لا بدّ لك من البحث عن صهرٍ جديد جدير بالاعتبار تزفّ اليه ابنتك. وعليك أن تذهب وتموت خجلاً غير مأسوف عليك.
لالي : كان من المفروض ان تقول : إنك ضُبطتَ بالجرم المشهود. تبّاً للمفاجأة المزعجة. كيف تسنّى لك أن تطّلع على الخطة بمثل هذه السرعة ؟

المشهد السادس

مسكاريل، ولالي

مَسْكاريل : ماذا أرى ؟ خُيِّل إليّ انك خرجتَ. وقد بحثتُ عنك في كل مكان. وها نحن قد إلتقينا. هيّا، أعطني مالاً لأذهب واشتري عبدتنا، فيستولي الوجوم على خصمك العنيد.

لالي : مسكين، ايها الفتى المستهتر. لقد أولانا الحظ ظهره. فهل يسعك ان تقدّر مبلغ الظلم الذي لحق بي ؟

مَسْكاريل : أخبرْني ما الأمر ؟

لالي : عَلِمَ أنسيلم بالمكيدة. فاستردّ مني كل ما كان قد أقرضني اياه من المال بحجّة استبدال بعض القطع الذهبية التي إدّعى انها مزيّفة.

مَسْكاريل : هل تسخر مني ؟

لالي : معاذ الله. هذه هي الحقيقة.

مَسْكاريل : حسناً.

لالي : أتجد ذلك حسناً ؟ وأنا أتعس خلق الله، لا أشعر من حولي بأية تعزية عمّا دهاني. سترى العجب من شدة غضبي.

مَسْكاريل : انا، يا سيدي ؟ إياك والغضب، لأنه يُفقد الرشد. وأنا أريد أن أتجنّبه مهما كلّف الأمر. فإن كانت سيلي حرّة أو عبْدة، وإن اشتراها ليانْدر أو إنتقلتْ إلى هنا، لم يعد شخصها يهمّني بتاتاً.

لالي : لا تُظهر عدم المبالاة هكذا، ولا تُشفقْ على ما أصابني بسبب قلّة صبري وتبصّري. فبدون هذا المصاب الأخير، أوَمَا كنتَ أكّدتَ لي أني أحسنتُ صنعاً بالتظاهر بالموت ؟ لقد ألْغيت هذا الحداد المصطنع الذي إعتبره اكثر الناس تحفّظاً حقيقيّاً لا غشّ فيه.

مَسْكاريل : في الواقع يحقّ لك أن تُشكَر على هذا التمويه.

لالي : اذاً أنا مذنب، ولا أودّ الإنكار. وإنْ شئت أن تُقدّر موقفي، أرجوك أن تسعفني وتُزيل عني هذه الشدّة.

مَسْكاريل : أقبّلُ يديك، وألتمس منك أن تعفيني من ذلك. لأني لا أطيق مواصلته.
لالي : ما هذا الكلام، يا مسكاريل ؟
مَسْكاريل : فعلاً.
لالي : إصنعْ هذا إكراماً لي.
مَسْكاريل : لا، لا. لن أستطيع.
لالي : اذا تصلّبتَ برأيك، سأقتل نفسي.
مَسْكاريل : ليكن، اذا أصررت ورضيت بذلك.
لالي : أليس من سبيل لتغيير فكرك.
مَسْكاريل : كلا.
لالي : أترى هذا السيف الجاهز ؟
مَسْكاريل : نعم.
لالي : سأغرزه في صدري.
مَسْكاريل : إفعل ما تشاء.
لالي : ألن تندم على دفعك إياي الى الانتحار ؟
مَسْكاريل : لا، لا.
لالي : الوداع اذاً، يا مسكاريل.
مَسْكاريل : الوداع، يا سيدي لالي.
لالي : ألا تريد أن ترحمني ؟
مَسْكاريل : إنتحرْ بسرعة. لماذا هذا التطويل ؟
لالي : أحقّاً أنت ترغب في موتي لتحصل على ملابسي ؟ ما أغباني اذا نفّذت بذاتي قتل نفسي.
مَسْكاريل : انا عارف بأن حركاتك وأقوالك مصطنعة. فمهما قصد الانسان أن يفعل تهرّباً من بلواه، لا يُقْدم في هذه الايام على وضع حدّ لحياته.

المشهد السابع

لياندر، وتروفلدان، ولالي، ومسكاريل

لالي : ماذا أُبصر ؟ منافسي وتروفلدان معاً ؟ لقد اشتري سيلي. وهذا ما جعلني أرتجف هلعاً وتقزّزاً.

مَسْكاريل : لا شكّ في انه يفعل ما يستطيع. واذا كان لديه مال، يمكنه ان يصنع ما يحلو له. أمّا انا فأكاد أجنّ من الحزن. هذا جزاء أخطائكم الفادحة وقلّة وعيكم.

لالي : قلّ لي ماذا يجب عليّ أن أفعل ؟ ألَا تريد أن تنصحني ؟

مَسْكاريل : لست ادري.

لالي : دعني وشأني. فأنا لا أريد مشاجرة أحد.

مَسْكاريل : وماذا ينجم عن الخصام ؟

لالي : ما عساي أن أفعل لأمنع هذه السخافة ؟

مَسْكاريل : لقد غفرت لك مساوئك، وأنا أنظر الآن اليك بعين المسامحة. دعْني أراقبه. فبوسائل ألطف، أظن أني أتوصّل الى معرفة ما يخطط من دسائس جديدة.

تُروفَلْدان : واذا عدنا اليه بعد حين، اعتقد أن المشكلة تكون محلولة.

مَسْكاريل : لا بد لي من ان أمسكَ به، وأن أطّلِع على اسراره ونواياه السيئة لكي أُبطل ما ينجم عنها من الأذى.

لِيانْدر : الحمد لله. ها هيذا سعادتي بعيدة عن كل شرّ. فقد عرفت كيف أصونها ؟ ولم أعد أخشى أي ضرر، مهما سعى خصمي الى النّيل مني، فلا خوف عليّ من أن يهلكني.

مَسْكاريل : آيْ، آيْ، النجدة. أنقذوني من القاتل الذي يصرّ على إزهاق روحي. آه، آه، آه. تبّاً للخائن الغدّار الذي لا يرحم.

لِيانْدر : ما هذا ؟ وماذا يجري هنا ؟

مَسْكاريل : لقد ضربني بعنف.

لِيانْدر : من ؟

مَسْكاريل : لالي.

لِيانْدر : لماذا ؟

مَسْكاريل : الأمر تافه، هو يلاحقني ويوسعني بشراسةٍ ضرباً مبرّحاً.

لِيانْدر : بالتأكيد، لا يحقّ له فعل ذلك.

مَسْكاريل : لكي أسكُتَ، إمّا أن أكون أنا جباناً عاجزاً، وإمّا أن يكون هو قادراً على الانتقام بضراوة. أجل سأريك أني خادم شريف. وبعد ان عملت لديك اربعة اعوام، لم آمل بتاتاً ان يلحقني العار هكذا. أؤكد لك أني سأعرف كيف انتقم. العبْدة تعجبك، وكنت تريد مني أن أحرّرها لك، ثم اسلمك اياها. وهذا ما أقصد أن أفعله اكراماً لك، ولو إنتُزِعتْ منك بعد ذلك رغماً عنك. وإلّا ليحملْني إبليس الى أعماق الجحيم.

لِيانْدر : إسمع يا مسكاريل، ودعْك من هذا الكلام العقيم. انت تعجبني منذ زمن طويل. وكنت أتمنّى أن تكون في خدمتي لأنك فتى ذكي وأمين، وحتماً تسعى بكل وفاء لصيانة مصلحتي. أخيراً اذا راقت لك العملية، وأحببتَ أن تساعدني تركتك عندي.

مَسْكاريل : نعم، يا سيدي، لا سيما ان الظروف ملائمة لأنفّذ خطة انتقامي، وأفيدك في آن واحد. هكذا، وأنا أسعى لتدبير شؤوني، أكون قد عاقبت هذا اللئيم وأرضيتك. أمّا سيلي، فبكلمة، وبفضل مهارتي وبراعتي ...

لِيانْدر : حبيبتي قد دبرتْ أمرها بنفسها، ودافعُها حبّكَ الذي يحمّسها، وها قد اشتريتها أنا بأقلّ ممّا تساوي.

مَسْكاريل : ماذا تقول ؟ هل أصبحت سيلي الآن تخصّك ؟

لِيانْدر : ستراها بعد لحظة. آه، لو كنت سيّد أعمالي كلها. لكن ماذا أقول ؟ والدي هو السيّد المطاع. وبما انه شاء ــ كما علمت ذلك من رسالة وصلتني منذ فترة ــ أن يحرّضني على الإقتران بالفتاة هيبوليت، لا أريد أن يغيظه تصرّفي المخالف. وهكذا، فضّلنا انا وتروفلدان الذي أتى الآن من عنده، أن أعمل باسم سواي. وحين تمّت صفقة الشراء، لأن خاتمي هو العلامة الفارقة، كان عليه حال إبرازه، أن يسلّمني سيلي. وها أنا أسعى أوّلاً لإيجاد الوسيلة

المضمونة التي تؤمّن لي مكاناً مناسباً حيث أُودع سراً بأمان هذه العبْدة الحبيبة.

مَسْكاريل : لا بدّ من أن يكون ذلك المكان خارج المدينة عند أحد الأقرباء، وقد وضع بيته بتصرّفي. هناك يمكنك ان تتركها بكل إطمئنان وبدون أن يدري أحد بهذا المخبأ الحريز.

لِيائدر : نعم، حقاً أنت تُسدي اليّ هكذا معروفاً لن أنساه. خذ هذا، واذهبْ الى الحسناء المذكورة. وحالما تُري تروفلدان خاتمي، سيسلّمك إياها، فتصحبها الى المنزل المشار اليه. وحين ... أُسكتْ. ها هي هيبوليت قادمة وراءنا.

المشهد الثامن

هيبوليت، ولياندر، ومسكاريل.

هِيبوليت : عليّ أن أنقل اليك، يا لياندر، خبراً عجيباً، ربما أفرحك مع أنه سيّئ.

لِيائدر : لكي أُطلعك على رأيي فيه بغتةً، لا بدّ من أن أعرفه أوّلاً.

هِيبوليت : هات يدك، ورافقني حتى المعبد، ونحن في طريقنا اليه أخبرك بما تودّ معرفته.

لِيائدر : هيا، هيا بدون أن نضيع وقتنا بالانتظار، نقضي ما يهمّني امره.

مَسْكاريل : نعم، أنا أريد ان أخدمك على طريقتي. وهل في الدنيا فتى خدوم أكثر منّي. نعم بعد هنيهة سيبتهج لالي. لأن حبيبته ستكون برفقتنا على هذا الدرب بالذات. وكم يسرّني أن أتلقّى الخير من حيث كنت انتظر شرّاً، وأنال السعادة على يد خصمي اللدود بعينه. وبعد هذا الإنجاز النادر الوقوع أودّ أن أكون جاهزاً لأُوصَف بالبطل الفائز ويُتوّج رأسي بإكليل الغار، وفي أسفل صورتي يُكْتَب بأحرف من ذهب « ليحيا مسكاريل الامبراطور المنتصر ».

المشهد التاسع

تروفلدان، ومسكاريل.

مَسْكاريل : يا هذا.
تُروفَلْدان : ماذا تريد ؟
مَسْكاريل : هذا الخاتم المعروف ينبئك عن سبب مجيئي اليك.
تُروفَلْدان : أجل، أنا أعرف هذا الخاتم. وسأنادي العبْدة. فانتظر قليلاً ها هنا.

المشهد العاشر

ساعي البريد، وتروفلدان، ومسكاريل.

ساعي بريد : ارجوك، يا سيدي، ان تدلّني على رجل ...
تُروفَلْدان : ما اسمه ؟
ساعي بريد : أظن أنه يُدعى تروفلدان.
تُروفَلْدان : وماذا تريد منه ؟ أنا هو.
ساعي بريد : أودّ أن أسلّمه هذه الرسالة.
نصّ الرسالة :

السماء التي تصون حياتي، أعلمتني بصوت ناعم هادئ، ان ابنتي التي اختطفها اللصوص، وهي في الرابعة من سنيها، واسمها سيلي، موجودة عندك كعبدة. إن كنتَ تقدّر عاطفة الأب وتشعر بالحنوّ في أعماق قلبك، أرجوك أن تحتفظ لي بهذه الإبنة العزيزة كأنها ابنتك الحبيبة. وأنا بنفسي سآتي لاستلمها منك، وأكافئك على العناية التي تبذلها في سبيلها. أسعد الله ايامك وأطال عمرك وبارك اعمالك.

السيد بيدْرو دي كوزْمان
مركيز مونْتلْكان.
من مدينة مدريد الاسبانية.

تُروفَلْدان : مهما يكن قوم هؤلاء الاشخاص لا يُؤمَن جانبهم، كما قيل لي، فالذين باعوني هذه العبْدة سيرسلون اليّ من يستلمها مني بدون أن أتذمّر من معاملتهم. مع ذلك كدت بقلة صبري أفقد اليوم أحلى آمالي الجسام. ولو تأخر مرسالك بعض الوقت لكان طلبك ذهب سدىً أدراج الرياح. إذ اني على وشك أن أسلّمهم الفتاة. لكني آسف، كما ترى، للظروف التي لا تتيح تلبية رغبتك التي تحدّثت عنها في الاسطر التي وصلتني بعد فوات الأوان. أرجوك أن تبلغ صاحبها اني لست قادراً على استجابة طلبه، فليأتِ ويستردّ ماله.

مَسْكاريل : لكن هذه إهانة بليغة توجّهها إليه.

تُروفَلْدان : إذهب، ولا تزد كلمة واحدة على ما قلت لك.

مَسْكاريل : تبّاً لهذه النتيجة المزعجة. فالظروف شاءت أن تخيّب أملي. ولقد جاء الشر من إسبانيا. فإنّ ساعي البريد هذا الذي أتانا بهذا الخبر المؤسف، أنهى المسألة بخاتمةٍ ليس أزعج منها.

المشهد الحادي عشر

لالي، ومسكاريل

مَسْكاريل : ما هذه البهجة البادية على محيّاك ؟

لالي : دعني أضحك من كل قلبي قبل أن أتحفك بأي تفسير.

مَسْكاريل : إذاً لنضحك معاً عالياً كما تشتهي.

لالي : لن أكون موضوع شكواك بعد الآن. ولن تقول لي اني انا الذي أضجّ دائماً، واني أشوّش كل مكائدك ومهازلك. فلقد قمت بدورٍ من أمهر الادوار. ومع ذلك عندما أريد، تُسعفني مُخيّلتي لاستنباط الوسائل الفعالة التي توصلنا الى مبتغانا. وانتَ نفسك تشهد بأني ساهمت في حلّ مشاكلك.

مَسْكاريل : أعلمني إذاً ما هي نتيجة هذه الابتكارات ؟

لالي : أحياناً يخامرنيِ الخوف الشديد لدى رؤية تروفلدان بصحبة خصمي.

وأنا لا أنفكّ أفكّر بدرء هذا الشرّ. وحين أستجمع قواي الذهنية، أتخيّل وأدبّر وأخطّط حيلة تُطأطَأ لها رؤوس جميع ذويك، وتضطرّهم الى الإنحناء تقديراً امام براعتي وتفوّقي.

مَسْكاريل : ولكن في أي موضوع ؟

لالي : إصبر عليّ قليلاً من فضلك. فإني زوّرت رسالة بدهائي ووجّهتها من سيّد خطير الشأن الى تروفلدان، يطلب فيها، لغاية تهمّه، ان يحافظ له على عبْدة اسمها سيلي، وهي في الحقيقة ابنته، اختطفها منه بعض اللصوص. وسيأتي ليأخذها ويدفع له أتعابه بكاملها. ولهذا السبب سيغادر إسبانيا ويأتي الى هذه الديار ومعه هدايا ثمينة يقدّمها له عرفاناً بجميله. وهو ينبئه بأنه لن يندم، بل سيكون مسروراً جداً إن ساعده على تحقيق أمنيته الغالية.

مَسْكاريل : حسن.

لالي : إسمع اذاً هذه النهاية السعيدة. سُلِّمت الرسالة المذكورة. ولكن هل تدري كيف ؟ في وقت غير مناسب، حسب قول حاملها الذي تبيّن لي انه رجل أحمق قصير النظر بعيد عن اللياقة.

مَسْكاريل : اراك قمت بهذه اللعبة بدون أن تعلق في أي فخّ.

لالي : أجل، بمهارة في التخطيط والتنفيذ. فأشكرْ إذاً درايتي وبراعتي، لأني فشّلت لك هكذا أحابيل خصمك الذي يهمّه هذا الامر.

مَسْكاريل : حسب تقديرك وثنائك على استحقاقك ونجاحك في هذه العملية، يعجز لساني عن الفصاحة اللازمة لإطراء مواهبك الغزيرة. أجل، ان ما بذلته أنت من جهد في هذا الانجاز الباهر، بفضل خيالك هذا الخصيب الذي لا يجاريه تفكير، يعجز لساني القاصر عن إيفائك حقك من الاطناب بمقدرتك. ستظلّ طوال ايام حياتك السند والمعين لكل مغبون ملهوف. لأن العقل المريض يميل دوماً الى الشرّ، ويجعل من صاحبه طائشاً، لست ادري بماذا أنعته، طائشاً أرذل مئة مرّة مما أتصوّره.

لالي : أخبرْني مفصّلاً عمّا يضايقك من تصرّفي. هل نالك مني بعض الأذى ؟ أوضح لي بصراحة ما تشكوه منّي.

مَسْكاريل : لا، لا. لم تفعل شيئاً مما تلمّح اليه. فأرجوك ان لا تلاحقني.

لالي : سأتبعك أينما ذهبت، لأكتشف سرّك الغامض.

مَسْكاريل : إذاً، فضلاً عن ذلك، هيّئ ساقيك للجري. لأني سأجبرك على استخدامهما لتسابق الريح.

لالي : يكفيني، شقائي وبؤسي، ولا أريد ان أستدرج القلق والهمّ. لم أفهمْ معنى الخطاب الموجّه اليّ. تبّاً لغبائي، فأنا في غنى عمّا كنت جلبته من المشاكل على رأسي المرهق.

الفصل الثالث
المشهد الأول

مسكاريل

(وحده)

مَسْكاريل : أسكتْ، يا قلبي الشفوق، لأنك أحمق لا تدرك ما تقول. أجل الحق الى جانبك. ولكن، ماذا أفعل بغضبي ؟ إنّ وَصْل ما انقطع مراراً، لا يفي بالمراد. على كل حال، يجب عليّ أن أفكّر بعيداً عن العنف، وأن لا أصغي الى قلة صبري. يبدو عليّ اني أتراجع أمام الصعوبات، وأني فقدتُ الكثير من براعتي، فقلّ إعتباري بوجه عام، وزاد إتهامي بأني ماكر محتال. ومع اني شخصياً ألاحظ أني لم أعد أملك من الدهاء إلّا القشور. الاستقامة صفة نبيلة، وأعمالي المفيدة لم يعد لها من أثر. فماذا يقول عني سيدي المستاء ؟ عليّ أن أسعى الآن للاحتفاظ بحقوقي، لا لإرضاء من أخدمه. لكن كيف أتوصّل الى تحقيق ذلك ؟ المياه أصبحت صافية، وانا اعتدت الإصطياد في الماء العكر. ها قد تخلّى عني شيطان خيالي، وبتُّ أخضّ الماء الذي لا ينتج عنه السمْن. اين اذاً مهارتي ؟ أين مقدرتي على هدْم الجسور وجرف السدود ؟ انقضت ايام صَوْلتي، ولم يبقَ لي سوى الخيبة والفشل. على كل حال، لن تكون قضيتنا خاسرة. وإن فقدنا خصمنا، وتعب لياندر من متابعة جهوده، يظلّ لي مجال للتفكير واستدراك ما هو أدهى. اجل، هناك حيلة ترقص في دماغي، ربما أدّت

بي الى خاتمة مرضية. ولن تقف في دربي أية عقبة. فما عليّ إلّا ان أحاول الاستفادة بتنفيذها.

المشهد الثاني

لياندر، ومسكاريل.

مَسْكاريل : لقد أضعت، بعض الوقت. وها هو صاحبك يناقض نفسه.
لِيانْدر : هو ذاته روى لي الحكاية، فعلمت منه أن سرّ اختطاف المصريّين ابنة سيّد كبير الشأن من إسبانيا ليس إلّا خدعة محكمة، أراد بها لالي أن يصرف نظرنا عن شراء سيلي.
مَسْكاريل : ما أحطّ هذه الخدعة.
لِيانْدر : وها هو نفسه أضحى ضحية شعوذته السخيفة. حتى أنه يصرّ على انتزاع الصبيّة منّا بشتّى الوسائل.
مَسْكاريل : لذلك قرّر الاحتفاظ بها، وأنا لا ارى من فائدة في معاكسته.
لِيانْدر : لقد بدت لعينيّ في بادئ الأمر، قريبة الى القلب. وها انا الآن متدلّه بهواها. ولا أجد بدّاً من أن أبذل كل ما بوسعي للحصول عليها، طبعاً ضمن حدود المعقول. وهكذا أبدّل مصيرها وأرتبط بها بوثاق الزواج المبارك.
مَسْكاريل : أجل يمكنك أن تقترن بها.
لِيانْدر : سألجأ الى أنسب الحلول. ولكن، إذا برزت عقبات في هذا السبيل فإن فضائلها ونعومة أنوثتها ستشجّعني على عمل المستحيل.
مَسْكاريل : تتكلم عن فضائلها ؟
لِيانْدر : نعم. لماذا تتعجّب ؟ أذكر لي أسباب اعتراضك على حسناتها.
مَسْكاريل : أرى أسارير وجهك قد تجهّمت لحظة، يا سيدي. فالأجدر بي أن ألازم الصمت.
لِيانْدر : لا، لا. تكلّم.

مَسْكاريل : الواجب يحتّم عليّ من قبيل اللياقة والاخلاص أن انتشلك من عماهة قلبك التي أنت غارق فيها. لأن هذه الفتاة ...

لِيائدر : تابع حديثك.

مَسْكاريل : أقلّ ما يُقال فيها انها عديمة الانسانية. على الصعيد الشخصي هي تستحقّ الشفقة، وقلبها البعيد عن أن يكون مقدوداً من الصخر الأصمّ، يحملها على مسايرة كل من يحاول ان يخطب ودّها. فتُمثِّل دور الحسناء البريئة الوفية. بينما أؤكد لك أنها في الواقع حيّة ناعمة الملمس لا ينطلي خداعها عليّ، نظراً الى ما تراكم لديّ من الخبرة في الحياة، وبنوع أخص في احوال مثل هؤلاء المشعوذات الخدّاعات.

لِيائدر : ويحك، أتقول ذلك عن سيلي ؟ هذا غير معقول.

مَسْكاريل : نعم، إن تظاهرها بالعفّة والحياء ليس إلّا ظلّ فضيلة تتصنّعها لتوقع خيرة الشبّان في شِباكها. وحالما يعلق أحدهم في فخّها تُبرز مخالبها لتنشبها في صدره.

لِيائدر : كفى تهويلاً. هل تريد ان أصدّق مثل هذه الأقاويل عنها ؟

مَسْكاريل : انت حرّ بأن تصدق ما تشاء، يا سيدي. أمّا أنا، فلا غرض لي في ما صارحتك به. يمكنك ان تتشبّث في الاحتفاظ بهذه الغشّاشة، وأن تمدّ لها يدك بسذاجة. فيرى الجميع حسن نيتك، وتكون قد اقترنتَ بفتاة كانتْ تخصّ العموم.

لِيائدر : ما هذا الإفتراء الغريب ؟

مَسْكاريل : بما أنك عضضت على الطعم، تشجّعْ وواصل طريقك حتى النهاية. وإن تراجعتَ تكون قد اقتلعتَ شوكة من قدمك.

لِيائدر : حتماً أنت تقصد طعْن قلبي في الصميم بهذا الكلام المريب.

مَسْكاريل : ماذا تقصد ؟ هل تشكّ بوفائي ؟

لِيائدر : هيّا إذهب الى البريد، واسأل إن كانت الرزمة التي أنتظرها قد وصلتْ. ما هذا الخداع الذي تتحدّث عنه ؟ لم يظهر قط على محياها ما تتهمها به من المراوغة. لقد حيّرتني. واذا صحّ ما ذكرته لي، أكون أكبر المغفّلين.

المشهد الثالث

لالي، ولياندر

لالي : ما هذا الحزن المرتسم على وجهك ؟ وما هي أسبابه، يا ترى ؟
لِياندر : على وجهي أنا ؟
لالي : نعم على محياك أنت.
لِياندر : مع أن لا داعي لكي أحزن.
لالي : أنا أعرف سبب كآبتك. هي طبعاً سيلي.
لِياندر : ثق بأن شخصها لا يشغل بالي مطلقاً.
لالي : لا تُنكر أن فؤادك أسير هواها. بل عليك أن تعترف بأنك لم تستطع أن تستأثر بحبّها.
لِياندر : لو كنت أحمق لأسرتْني بألطافها. وأنا استخفّ بكل تأويلاتك.
لالي : أية تأويلات تعني ؟
لِياندر : يا إلهي. كلنا نعرف الحقيقة الظاهرة للعيان.
لالي : أية حقيقة ؟
لِياندر : كل محاولاتك من ألِفها الى يائِها ...
لالي : انا لا افهم هذه اللغة.
لِياندر : تنصّل من الواقع، وتظاهر بعدم الفهم كما تشاء. لكن صدّقني، عليك أن تُقلِع عن الخوف من الخسارة. وإلّا انقطعتُ عن التحدث اليك بأي أمر يعنيك، أنا أهوى الجمال الذي يتجلّى في طهارتها، ولا يلوّثه أي عار. ولا أنوي ان أضحّي بشبابي في سبيل لقيطة.
لالي : مهلاً، مهلاً، يا لياندر.
لِياندر : أنت طيّب القلب، ويسعك أن تكمل طريقك بدون أن يعيقك اي شكّ. وكرجل حَسَن الطالع، تستطيع ان تفوز بروعتها الفتّانة. لكن لا تنسَ أنها من صنف الصبايا المبتذلات.
لالي : لنقف في حديثنا عند هذا الحدّ، يا لالي. واعلم أني لا أحبّ سماع

هذه القذارات التي تلصقها بها زوراً وبهتاناً. وثق بأني لست مستعدّاً أن أُصغي الى هذه الحقارات التي تأبى شهامتي أن تصدّقها.

لِياندر : ان ما انقله اليك قد بلغني من مصدر ثقة.

لالي : مَن أخبرك به ليس إلا صعلوك تافه يدّعي اعلان الحقيقة. انا على يقين بأن لا أحد يستطيع ان يلطّخ سمعة هذه الفتاة، لأني أنا العليم بطهارة قلبها وسمّو أخلاقها.

لِياندر : في هذه الحالة، يكون مسكاريل مصنِّفاً غير منصفٍ، لأنه هو الذي نَسَب اليها الخزي والعار.

لالي : من ؟ مسكاريل ؟

لِياندر : نعم، هو بالذات.

لالي : هل وصل الوغد الى المسّ بكرامة هذه الصبيّة الممتازة ؟ اني أهزأ بكل ما صرّح به، وأراهن على أنه لن يلبث أن يكذّب أقواله هذه.

لِياندر : وانا أراهن على عكس ذلك.

لالي : وربّي، سأدعه يموت تحت ضربات القضبان، إن أصرّ على عدم نفي كل ما أشاعه من أكاذيب.

المشهد الرابع

لالي، ولياندر، ومسكاريل.

لالي : ها هو قد أتى. تعالَ، أيها الكلب المسعور.

مَسْكاريل : ماذا تقول ؟

لالي : يا لسان الأفعى السامّة، الحافل بالأراجيف. كيف تتجرّأ على تلويث سمعة سيلي ؟ فتُجرّدها من فضائلها السامية وتنسب اليها أحطّ الرذائل ؟

مَسْكاريل : مهلاً. هذه الناحية من خصائصي.

لالي : خسئتَ. فليس هناك من غمزات ولا من وصمات. أنا أدرى منك في

كل ما ذكرته. حتى إن كان أخي المفتري، سأجبره على دفع ثمن نميمته غالياً. فتجاسرْ، أيها الجبان، وأطلقْ أي ذمّ بحقّ من أهواها وأجرحْ فؤادي. إن كل أقوالك باطلة لا أساس لها من الصحة.

مَسْكاريل : يا إلهي. لا تحاولْ أن تتهمني وتشاجرني. وإلّا انسحبتُ حالاً.

لالي : لن تنجو من عقابي، أيها الثرثار النمّام.

مَسْكاريل : أتتكلم جدّيّاً ؟

لالي : هيّا، إعترفْ بالواقع الأكيد، يا لئيم.

مَسْكاريل : دعني وشأني، لا تُعِرْ أذناً صاغية لهذه الترّهات.

لالي : هيّا، هيّا، أوضح لي هذا الغموض.

مَسْكاريل : لقد صرّحتِ بِرأيي، فلا تستشطْ غضباً.

لالي : لا بدّ من أن أجبرك على إعلان الحقيقة، بطريقة أو بأخرى.

لِياندر : تمهّل قليلاً، وخفّف من غلوائك.

مَسْكاريل : هل هناك إنسان عاقل يمكنه أن يصبر على تبجّحك ؟

لالي : دعني أُرضي استقامتي المهانة.

لِياندر : أن تضربه بحضوري، أمرٌ يفوق طاقة إحتمالي.

لالي : ماذا أسمع ؟ ألا يحق لي أن اعاقب خادمي على غلطه ؟

لِياندر : كيف تدّعي انه خادمك ؟

مَسْكاريل : يا إلهي سيكتشف كل ألاعيبي.

لالي : بما أنه خادمي، فلي مطلق السلطة لضربه حتى يموت تكفيراً عن ذنبه.

لِياندر : لقد أصبح الآن خادمي انا.

لالي : منذ متى ؟ هذا نبأ يستحق الدهشة والاعجاب. قل لي، كيف أمسى خادمك ؟ بدون شك ...

مَسْكاريل (**بصوت خافت**) : مهلاً، مهلاً.

لالي : بماذا تغمغم، أيها الحقير ؟

مَسْكاريل (**بصوت خافت**) : تبّاً لهذا الأحمق الذي يهدم كل ما بنيته بشقّ النفس، وهو لا يميّز كوعه من بوعه، ولا ينتبه الى الإشارة التي أوجّهها اليه.

لالي : هذه اضغاث أحلام، يا لياندر، لا تعاندْ. كيف تدّعي انه ليس خادمي ؟

لِيائدر : ألمْ تطردْه من خدمتك بسبب ذنبٍ إرتكبه ؟
لالي : لا علم لي بذلك.
لِيائدر : وفي فورة غضبك، ألم تلهبْ ظهره بضربات سوطك ؟
لالي : انا لم أطردْه، ولم أضربه بتاتاً. هل تسخر منّي، يا لياندر ؟ أم تراه هو يهزأ بي، أنا سيده ؟
مَسْكاريل : أُبعُد عني، أيها الجلّاد العنيف. لقد فعلت بي ما شئت.
لِيائدر : هل تقول إن ضربات السوط وليدة الخيال ؟
مَسْكاريل : هو لا يعي ما يتلفّظ به، لأن ذاكرته ...
لِيائدر : لا، لا. هذه إشارات تدلّ على تصرّف غير معقول أبداً. فأنت في نظري موضوع شكّ وارتياب. مع ذلك أسامحك على استنباط ما تنطق به. يكفيني ان يكون قد خدعني بكلامه المعسول، وخدعك أنت أيضاً، لكي تعارضني وتلومني، ولا تكترث لنفاقه وريائه. وبذلك يكون قد عاملك وعاملني بغباء على قدم المساواة. وهذا ما لا يسعني أن أغفره له. وداعاً، يا لالي، يا أحقر الناس.
مَسْكاريل : تشجّع، يا غلام. فلكل ساعة حساب. لنشهِرْ سيف العدل عالياً ولنطلقْ لشجاعتنا العنان كي تصول وتجول. ولنكنْ في آن واحد الجاني الغريب الأطوار، والقتيل البريء المغدور.
لالي : لقد اتهمك بأنك صاحب الإفتراء والإغتياب، وهو على حقّ.
مَسْكاريل : وانت لا تطيق تحمُّل كلامي، وتتركه على ضلاله لأنه هو الذي أدّى لك الخدمات الجليلة، وكاد يذهب ضحية مزاحمتك في الغرام. لا، إن حديثه صريح لا يخفي أي لوم. وها هيذا الخبيثة التي تتمسّك بكلام خصمه وتزجّ نفسها في أحرج المآزق. لذا أودّ أن أخفّف من حماس خصمه العنيد. مسكين مهما نبّهته الى الحيلة الدنيئة التي انطلتْ عليه، لم أتوصّل الى تحذيره من السقوط بحبائل مزاحمه. لأنه غافل عن كل ما يُحاك حوله في الخفاء. حقاً هو غائص في جهل فاضح. ولا يعلم حتى الآن ان حبيبته درّة فريدة تليق بالملوك.
لالي : لا يُدهشني أبداً أن يصدر عنك طول البال، وأنت مستعدّ لبذل أقصى الجهود.

مَسْكاريل : لا حيلة لي بذلك.

لالي : لو أعلمتني بنواياك لهان الأمر. لكنك تتصرّف بطريقة مبهمة تحرمني من متابعة مساعيك. وهذا ما يفاجئني من مشاكلك المعقّدة.

مَسْكاريل : أعتقد أنك خبير في استخدام السلاح، وتعرف في كل مغامرة كيف تسيطر على المعاكسات، وتسيّر الأمور لصالحك.

لالي : بما أننا أمام أمر واقع، لا فائدة الآن من التفكير. وما دام خصمي عاجزاً عن التغلّب عليّ، آمل ان تكون تصرّفاتك مطمئنة بالنسبة اليّ.

مَسْكاريل : لنقف هنا في حديثنا، ولنتكلّم عن أمور أخرى. فأنا لا أرتاح بسهولة الى ما يجري حولي، لذا تراني دوماً مضطرباً حانقاً. عليّ أوّلاً ان أبلغ غايتي. وسنرى فيما بعد، اذا كنت سألبّي اشواقي او أعْدُل عنها.

لالي : إذا كان هذا نصيبي، فلا سبيل لي الى المقاومة. أصدقني، هل أنت بحاجة الى بذل دمي والى قوة ساعدي لكي تفوز بغنيمتك ؟

مَسْكاريل : تبّاً لعقلك المختلّ. هل أنت من حملة السيوف ؟ ام أنت بالأحرى محتاج الى المال ؟

لالي : ماذا يمكنني أن أفعل لأجلك ؟

مَسْكاريل : لا بدّ لك من تهدئة روع والدك وتخفيف غضبه.

لالي : لقد صالحتُه.

مَسْكاريل : لكن ليس لإرضائنا. فلقد تظاهرتُ اليوم صباحاً بأني ميت لأجل صالحك. فهاله منظري، وهو في شيخوخته الهزيلة يخشى إسم الموت، لأنه يذكّره بقرب أجله. والحياة لا تزال في نظره عزيزة حلوة. فخاف ان يصيبه عارض، وحزن على ما أصابني. لكني بتّ أنا أخشى أن يكشف حيلتي وخداعي. فأرجوك أن تخبره بالواقع، وأن يهوّن عليه هذه الصدمة.

لالي : كما تشاء. سأطلعه على الحقيقة وأواسيه. ولكن، عِدْني بأن ...

مَسْكاريل : يا الهي. سأرى ما بوسعي أن أفعل. وعليك أنت أن تصبر قليلاً ريثما ارتاح من تعبي، ومن قلقي وهمّي. فلنكفّ بعض الوقت عن إذكاء نار دسائسنا المتبادلة لئلا تلتهمنا، ولا نَدَعْ مجالاً للشيطان لياندر أن يضرّ بنا وبمشاريعنا. فإنّ سيلي قد توقّفت عن ...

المشهد الخامس

أنْكاسْت، ومسكاريل.

أنْكاسْت : بحثتُ عنك في كل مكان لأسْدي اليك معروفاً، وأُطلعك على سرّ خطير.

مَسْكاريل : ما هو ؟

أنْكاسْت : ألا يوجد هنا من يسمعنا ؟

مَسْكاريل : كلّا.

أنْكاسْت : نحن أصدقاء على قدر الإمكان. أعرف نواياك، وأدري بالحب الذي يسيطر على سيّدك. فكِّرْ بالامر قليلاً. لقد ساهم لياندر في اختطاف سيلي، كما علمت بذلك مؤخراً. وهو الذي رتّب هذا الإعتداء، وينوي اقتحام منزل بندولف بحيلة جهنّمية. وبلغني أيضاً أن بعض نسوة الحيّ يذهبْنَ لمقابلته وهن مقنّعات.

مَسْكاريل : حقاً ؟ هذا يكفي لإدانته. وأنا بإمكاني أن أسلّطه على هذه الطريدة. وسأتدخَّل في الوقت المناسب. هو يجهل ما مَنّ الله عليّ به من المواهب. لذا أودّعك الآن، وسأشرب كأساً نخب صحتك عندما نلتقي في أوّل فرصة مقبلة. لا بدّ من استمالة كل من يمكنه ان يساعدنا على تحقيق هذا المشروع الغرامي السعيد من خلال مفاجأة مُحكَمة الحدوث، غير عاديّة، وبدون أن نتعرّض لأي خطر. فاذا تخفّيت وذهبت لمقابلته، لن يعرقل لياندر سبيلنا. وهكذا يُعيننا على نيل بغيتنا. اذ بواسطته نتجنّب إثارة اي شك في تصرّفنا، وننجو من ملاحقته ومشاكسته. ولا سبيل الى خشية أية فضيحة آنذاك، ما دمنا سنستخدم قبضة سوانا لتسديد ضربتنا القاضية. هيّا بنا إذاً الى وضع الأقنعة على وجوهنا. وبمساعدته على إتمام الزفاف، علينا ان لا نتهاون أبداً في إنجاز عملنا بأقصى السرعة. وأنا على أتمّ الاستعداد لاستعمال كل دهائي في سبيل نجاح مسعانا. ولن أضنّ ببذل كل جهودي في تنفيذ المهمة.

المشهد السادس

لالي، وانكاسْت

لالي : لقد إدّعى إنه سيختطفها رغم تنكّره.
انْكاسْت : انا لا استغرب حدوث ذلك. لان صاحبنا من طينة فريدة من نوعها. وها هو مسكاريل يحاول أن يشوّش تدبيرنا، بحيله المعهودة. وبما أني شاهدتك صدفةً ظننتُ ان عليّ ان أطلعك مفصّلاً على خطّتنا.
لالي : أبهجني خبرك للغاية. ولن أنسى جميلك هذا طوال عمري. سيفاجئه صديقنا بصورة لا يتحسّب أحد لها. وأنا من جهتي سأساعد على تنفيذ ما صممّنا عليه. ها قد آن الأوان لأباغته بمظهري غير المألوف. تبّاً لي كم بالَغْتُ في الإحتياط لكل طارئ. ولكن من أراد أن يداعبني بمهاجمته، فليعلم أن لديّ مسدسيْن، وان سَيْفي مرهف الحدّيْن. أحذروا من أن تنطقوا بكلمة من شأنها ان تفضح نوايانا.

المشهد السابع

لالي، وتروفلدان

تُروفَلْدان : من ؟ من الذي يريد أن يراني ؟
لالي : أغلُق الليلة باب دارك جيداً.
تُروفَلْدان : لماذا ؟
لالي : لأن بعض الاشخاص تنكّروا بأزياء غريبة ليأتوا اليك ويلقوا عليك تحيّة مزعجة. وهم يودّون أن يختطفوا سيلي.
تُروفَلْدان : ربّاه.

لالي : وسيصلون بعد برهة. فامكثْ هنا، وستشاهد كل المهزلة من النافذة. ماذا قلتُ لك ؟ هل تبصرهم يقتربون ؟ أُصمتْ، وسترى كيف سأصدّهم أمامك. حقّاً سيكون المشهد مُشوِّقاً اذا لم ينقطع الحبل بهم في منتصف البئر.

المشهد الثامن

لالي، وتروفلدان، ومسكاريل (على وجهه قناع).

تُروفَلْدان : يا للبطارى الحَيَارى الذين يريدون مباغتتي.

لالي : ايها المقنّعون، هل لي ان اعرف ماذا ترغبون ؟ إفتح لهم الباب يا تروفلدان لنرى ما سيفعلون. يا الهي، ما أجملها وما أروع ملامحها. بماذا تتمتمون ؟ هل من الممكن أن تنتزعوا أقنعتكم عن وجوهكم، بدون انزعاج، لنرى من أنتم.

تُروفَلْدان : امضوا، أيها الأغبياء المغفّلون، وابتعدوا عن هذا المكان، ايها السفلة. وأنت مساء الخير، أيها السيد، وشكراً جزيلاً.

لالي : أهذا أنت، يا مسكاريل ؟

مَسْكاريل : لا، لا. أنا شخص آخر.

لالي : هذا مؤسف. يا للمفاجأة. ما هو مصيرنا ؟ وهل كان باستطاعتي أن أتوقّع قدومكم بدون أن يُبلغني أحد بمجيئكم. هناك حتماً أسباب وجيهة لإستغرابكم كلامي. ما أبلدني لكي أقابلك بهذا القناع، وأظْهر امامك بهذا المنظر غير المألوف. كم أودّ أن أضرب ذاتي مئة جلدة لأني أثرت استياءك وغيظك.

مَسْكاريل : الوداع، أيها المهرّج البارع، وصاحب الخيال الخصب.

لالي : لا، لا. إذا كان غضبك سيحلّ عليّ، فبأي قدّيس أستجير وأطلب منه الشفاعة كي ينجّيني منك.

مَسْكاريل : من إبليس اللعين القابع في أعمق أعماق الجحيم.

لالي : وإن كان قلبك القاسي كأنه قُدّ من الصخر أو من الصوّان، أرجوك مع ذلك أن تَرأف بحالي، وأنا مستعدّ لأن أجثو وأقبّل قدمَيْك. هيّا انظرْ إليّ ...

مَسْكاريل : تبّاً لك من تَتَري، يا رفيق شيطان المهازل. ها أنا اسمع وقع أقدام تتعقّبنا.

المشهد التاسع

لياندر (مقنع) وجماعته، وتروفلدان

لِيائدر : هيّا، بدون ضجّة، ولنتقيّد باللياقة والإنضباط.

تُروفَلْدان : ماذا تقول ؟ ما للمقنّعين يحاصرون منزلي طوال الليل ؟ ايها السادة، لا تكثروا من شرب المسكرات، لانها تضعضع الرشد. لقد فات الأوان لاختطاف سيلي، فاصرفوا النظر عن هذا المشروع الآن. فهي مثلي ترجوكم أن تُقْلِعوا عن هذه الفكرة غير الصائبة. هي نائمة في فراشها، ولا يمكنها أن تخاطبكم. أنا مستاء نظيركم. ولكي أعوّض عن تعبكم، املي ان تهدّئوا روعكم وتطمئنّوا الى انها بألف خير، وقد هيّأت هي لكم هذا الطعام اللذيذ.

لِيائدر : تبّاً لهذه المآكل الكريهة الرائحة، أعفوني من تناولها. لقد افتضح أمرنا، وما علينا إلّا ان ننسحب في هذا الإتجاه.

الفصل الرابع
المشهد الأول
لالي، ومسكاريل

مَسْكاريل : ما لك مُكوَّم كحزمة غريبة الشكل ؟

لالي : أنت تُحْيي هكذا أملي المنهار.

مَسْكاريل : كلما هدأ غضبي، عدت الى السباب والشتم، وعجزتُ على ضبط أعصابي.

لالي : يسعك أن تقول ما تشاء، فأنا قادر على جعلك لا تُحجم عن الاعتراف بجميلي، حتى عندما لا يبقى لديّ سوى كسرة خبز لسدّ رمقي.

مَسْكاريل : تبّاً لك. عليك أن تفكّر بنفسك في هذا المخطّط الجديد. على الأقلّ اذا اقترفتَ حماقة، لن تنسب الخطأ والفشل الى المباغتة. لأن المفروض أن تُتقِن دَوْرك جيداً.

لالي : لكنك لم تخبرني كيف استقبلك تروفلدان في منزله.

مَسْكاريل : بحماسة خجولة تمكّنت من لجم هذا المتبجّح المتغطرس. وبلهفة بيّنتُ له إن الجماعة، إن لم يفكّر بنفسه، سيستهدفونه في اكثر من مكان، وأنّ تلك الرسالة المزوّرة كادت تفضح سرّ مولدها، وأني كنت على وشك التدخّل في القضية، لكنني سرعان ما انسحبت وتخلّيت عن مهمتي. وبما أني أغار على مصلحته، بادرت الى تحذيره. ومن ثمّ أردتُ أن انصحه وأردّه الى جادة

الصواب. لا سيما في ما يتعلق بالخبثاء الذين نرى كثيراً من أمثالهم هنا كل يوم. أمّا أنا فسعيت الى خلاصي من الورطة والإبتعاد عن المشاكل، لأرتاح طويلاً بقرب رجل صالح لا بغية لي إلّا أن أقضي بكنفه باقي أيام حياتي. وهو بدوره عرف كيف يستميلني، وبدون أن يطلب مني، وددت ان أخدمه. فوضعت بين يديه الأمينتين بعض المال الذي اخذته من والدي كثمرة اتعابي. وخوفاً من أن يحين أجلي باكراً فضّلت ان يظلّ هذا المال في حوزته. وهذا هو السبب الحقيقي في محاولتي استدرار حنوّه. وحين شئت أن أبتّ في الأمر مع حبيبتك حسب رغبتك، سعيت الى جمعكما معاً كي تتحدثا مباشرة في الشؤون التي تخصكما وحدكما. وها هو قد مهّد لي السبيل الى امكانية سكنك معها تحت سقف واحد، وكلّمني عن ابن يعيش في وحشة الغربة. وقد أبصره هذه الليلة في الحلم عائداً. واليك ما قاله لي في هذا الموضوع الذي بنيت عليه خدعتي ...

لالي : كفى ما ذكرته لي الآن. فأنا أعرف ذلك جيداً. لأنك كرّرته علي مرتين.

مَسْكاريل : نعم، نعم. لكنني في المرة الثالثة، رغم كفاية ما قيل، ربما ينتقص ما اطّلعتُ عليه بعض التفاصيل التي كنت أجهلها.

لالي : لكن هذا التأجيل يتطلّب مني جهداً كبيراً.

مَسْكاريل : خوفاً من السقوط، علينا أن لا نركض بسرعة تفوق طاقتنا. ألاحظ أنك عنيد، وعليك ان تكون ثابت الجنان في هذه المغامرة. سابقاً خرج تروفلدان من نابولي، وكان اسمه زينوبيو روبِرْتي، وهو ينتسب الى حزب إفتعل مشاغبات إرهابية. فأمسى في مدينته موضع رَيْبٍ وظنّ، مع أنه في الحقيقة لم يكن شخصياً رجل شغب يقلق الدولة. فاضطر الى مغادرتها في ليلة ظلماء، تاركاً زوجته وطفلته الصغيرة اللتَيْن ماتتا بعد مرور بعض الزمن. وحين علم بوفاتهما غمره حزن شديد، لأنه كان يودّ أن ينتقل بهما الى مدينة اخرى. وكان له إبن تلميذ يُدعى هوراس، جعله وريث أمواله. فكتب الى مدينة بولونيا وأوكل أمره الى استاذ إسمه أَلْبير ليثقّفه. لكنه في الموعد المضروب بعد سنتَيْن لم يجد أحداً. فظن أن الجميع قضوا نحبهم. ثم جاء الى هذه

المدينة واتخذ اسمه الحالي تروفلدان، بدون ان يدري بالأمر ابنه هوراس او الاستاذ ألْبير مثقِّفه. وانقضت .بعدئذٍ مدة اثنتي عشرة سنة، بدون أن يعثر عليهما. لقد سردْتُ لك هذه القصة إجمالاً لكي تكون أساساً لحديثنا. والآن ستصبح أنت تاجراً من ارمينيا، رأيتهما سالمَيْن معاً في تركيا. وإذ لم يكن هناك من سبيل لإعادتهما الى عالم الأحياء حسبما حلم به، لا يُستبعَد أن أن يكون قد إلتقطها قرصان تركي من طيّات أمواج البحر، بعد أن غرق، مركبهما، ثم رَجَعا الى ذويهما، بعد مرور خمسة عشر أو عشرين عاماً، رغم اعتبارهما في عداد المفقودي. لقد سمعت انا مئة قصّة مشابهة، بدون تعقيد، ويمكننا الركون اليها. هذا ليس مستغرباً. لا بدّ من ان تكون قد سمعت بمصابهما ودبّرت لهما طريقةً بها يستعيدان مكانتهما في المجتمع. وفي هذه الأثناء، كلّفك هوراس بمقابلة والده الذي اطّلع على أحوال والده، وأنت تنتظر في بيته بضعة ايام الى حين وصولهما. وهكذا أكون قد أعددتُ معلومات جديدة موسّعة.

لالي : طبعاً، هذا تكرار عقيم. لكن هكذا ترسّخت تلك الوقائع في ذهني.

مَسْكاريل : وها انا أضيف عليها بعض التفاصيل.

لالي : اسمع، يا مسكاريل. أمر واحد يزعجني فيما لو طلب منّي أن أصف له ملامح إبنه. إذْ لن أتمكّن من القيام بذلك مطلقاً.

مَسْكاريل : ملاحظتك في محلها. إعلم اذاً أنه قصير القامة. وفضلاً عن ذلك، لا يغربْ عن بالك ان العبوديّة، ثم تراكم السنين، من شأنها أن تغيّر ملامح محياه.

لالي : هذا صحيح. لكن قلْ لي، إذا أكّد أنه شاهدني، ماذا افعل ؟

مَسْكاريل : هل نسيت أننا ذكرنا أن وجهك مَرَّ في خياله مرور الكرام، لأنه لم يلمحك سوى لحظة وجيزة، وكانت لحيتك وملابسك التنكّرية تُخفي كل معالمك.

لالي : حسن. لكن أين يقع هذا المكان في تركيا ؟

مَسْكاريل : جميع الأمكنة متشابهة، من تركيا الى بلاد البربر.

لالي : أنا أسألك عن إسم المدينة حيث أمكنني أن أراهما.

مَسْكاريل : في تونس، ولا بدّ من الانتظار، على ما أعتقد، حتى المساء. لا لزوم للتكرار. فقد ذكرتُ اسم هذه المدينة اثنتي عشرة مرة.
لالي : هيّا، هيا إبدأ. لم أعد بحاجة الى الإعادة.
مَسْكاريل : على الأقلّ كن حذراً، وتصرّفْ بحكمةٍ وتحفُّظ، وإياك أن تُطلق لخيالك العنان وتفيض بالكلام جذافاً.
لالي : دعني أتصرّف. ربّاه، كم أنا خائف.
مَسْكاريل : هوراس تلميذ في مدينة بولونيا الايطالية. وترافلدان أي زينوبيو روبرْتي مواطن من نابولي. والاستاذ ألْبير ...
لالي : يُخجلني أن أبحث هكذا عن نفسي. هل أنا أحمق الى هذا الحد ؟
مَسْكاريل : لا، لا، ابداً. لكن في الأفق دلائل تُنذر بالمفاجأة. (**يخرج**).
لالي (**وحده**) : عندما أحتاج اليه ألاقيه كالكلب النائم. وبما أنه يوقن بحاجتي اليه، تراه يتغافل عن صداقتي. كم أودّ أن أشاهد تلك العينَيْن النجلاوين اللتين شخصتا اليّ وفرضتا سلطتهما عليّ، وانا بطيبة خاطر إمتثلت لرغبتهما، وسأعرف أي موقف أتخذ حيالهما ... ها هم آتون إليّ.

المشهد الثاني

تروفلدان، ولالي، ومسكاريل.

تُروفَلْدان : تباركتِ السماء لدوام حظي الهنيء.
مَسْكاريل : عليك أن تحلم، لأن الأحلام في عرفك ليست من الأوهام.
تُروفَلْدان : أشكرك، يا سيدي، لأنك الملاك الذي يحرس سعادتي.
لالي : لا لزوم لهذا الكلام الذي أعفيك من ترديده.
تُروفَلْدان : لست ادري أين أبصرت مثل هذا البربري.
مَسْكاريل : هذا ما سألتك عنه، وكم يتشابه الأشخاص.

ترُوفَلْدان : هل رأيت إبني الذي أضع عليه كل اتكالي بعد الله.
لالي : أجل، يا سيدي تروفلدان. وهو من أشجع شبان الدنيا.
ترُوفَلْدان : لقد قَصّ علينا سيرة حياته، وتكلّم كثيراً عني.
لالي : اكثر من عشرة آلاف مرة.
مَسْكاريل : أقلّ قليلاً، على ما أعتقد.
لالي : لقد رسم صورتك كما أُبصرها الآن أمامي : ألوجه والقوام ...
ترُوفَلْدان : وهل هذا ممكن ؟ عندما شاهدني آخر مرة، كان في السابعة من عمره فقط. فكيف بالحري استاذه، وهو يكاد يعرف وجهي ؟
مَسْكاريل : الأرجح انه لا يتذكر ملامحي، بعكس أبي ...
ترُوفَلْدان : هذا يكفي. أين تركته ؟
لالي : في تركيا، بمدينة تورينو ...
ترُوفَلْدان : تورينو ؟ لكن هذه المدينة موجودة في مقاطعة بيامون بإيطاليا.
مَسْكاريل : يا للرجل المغفّل. لم يسمع جيداً. هو يريد ان يذكر تونس حيث ترك إبنك. لكن من عادة البرابرة أن يحرّفوا الفاظ اللغات الأجنبية التي يسمعونها. لأن لسانهم ثقيل ويهشمّون معظم مقاطع الكلمات. وهكذا بدل ان يقول تونس ذكَر تورينو.
ترُوفَلْدان : كان لا بد من معرفة هذا الامر عند سماعه لتجنُّب الإلتباس. والآن ما هي الوسيلة التي دلّك عليها للإهتداء الى أبيه ؟
مَسْكاريل : حاولْ ان تستفهم منه. أنا عليّ أن أراجع بعض دروس المبارزة بالسيف التي لم تكن سابقاً من الرياضات المألوفة. مع ذلك كم قارعتُ السيف بالسيف في قاعة أخرى.
ترُوفَلْدان : ليس هذا ما أقصد الآن أن أفهمه. بربّك، ما هو الإسم الآخر الذي كان يُعرف به ؟
مَسْكاريل : نعم، نعم، الآن تذكّرت : السيد زينوبيو روبرْتي. أنت حقاً ملاك من السماء.
لالي : هذا اذاً اسمه الحقيقي، والثاني إسمه المستعار الحالي.
ترُوفَلْدان : ولكن، هل أخبرك أين تلقّى هذه المعلومات.

مَسْكاريل : على ما يبدو، إن نانولي مقرّ يستحقّ الاعجاب. لكنه بالنسبة إليك مكان بغيض كريه.
ترُوفَلْدان : هل يمكنك، بدون أن تتكلّم هكذا، أن تستوعب حديثنا ؟
لالي : وفي نابولي بدأ مصيره يتبلور.
تُروفَلْدان : أين أرسلته حين كان شاباً، وكيف كانت ظروفه ؟
مَسْكاريل : الاستاذ ألبير المسكين يستحقّ كل ثناء. لأنه منذ مدينة بولونيا الايطالية لا يزال يرافق إبني هذا، ويداوم على الاهتمام به.
تُروفَلْدان : حقاً ؟
مَسْكاريل : إذا طال هذا الحديث، سنغرق في تفاصيله المتشعّبة.
تُروفَلْدان : كم أود أن أعلم منك، على أية سفينة سافر ؟
مَسْكاريل : لست أدري. ها قد مَلَلْت الكلام. لكن، يا سيدي تروفلدان، هل تعتقد أن هذا الرجل الغريب يريد أن يتغدّى في هذا الوقت المتأخّر ؟
لالي : من جهتي، ليس لدي أي طعام أقدّمه له.
مَسْكاريل : وأنت جائع أكثر ممّا تظنّ.
لالي : تفضّل قبْلي.
مَسْكاريل : في بلاد البرابرة لا يتقيّد ربّ البيت بالرسميات. ما هذا التفكير ؟
لالي : لقد فاجأني أوّلاً. لكن لا تقلقْ، استعدتُ صوابي، وسأتصرّف بكامل وعيي وجرأتي.
مَسْكاريل : ها هوذا خصمنا الذي يجهل الرواية.

المشهد الثالث

لياندر، وانسيلم

أَنْسيلْم : قِفْ، يا لياندر. واستمعْ الى حديث يتعلّق براحتك وكرامتك. أنا لا أخاطبك كأب عن إبنته، أو كرجل يهمّه رفاه أُسرته، بل كوالدك الذي يهتمّ بصالحك، بدون أن يتملّقك أو يخفي عنك أي مشكل. بالاختصار، أتوجّه إليك كانسان نظيف الكفّ، صافي النيّة، يريد أن يندمج بأسرتي. هل تدري كيف ينظر الى الحب الذي يبرز من دياجير الظلام الى وضح النهار ؟ هل تدري كم أثار من السخرية وكم كان هدفاً للأحكام الجائرة. ولأنك تنوي أن تقترن بنفاية مصرية، هي فتاة مستهترة بالنبل والإباء، أنا أستحي بها لأنها ليست أهلاً لأي اعتبار أو وقار. أجل، هذه الفتاة التي تهواها مجبولة بالعار، وأنا لا أرضى بأن تعرّضك لأي ازدراء واحتقار. بربّك، يا لياندر، ترفّع عن هذا الانحطاط وانتزع عن عينيك هذه الغشاوة التي تُعمي بصرك وبصيرتك، وتعقّلْ، وأصلحْ خطأك. فان الغلطة القصيرة المدى سريعة الغفران. فعندما تقترن فقط بالجمال الزائل، سرعان ما يوقظ في اعماقك وخز الضمير. لا سيما إن أروع الحسان هنّ قاصرات في الدفاع عن أنفسهن. ولا يلبث الفتور أن يتبع التهافت على الملذات. أكرّر عليك أن هذا الإندفاع المتحمّس الذي تحرّكه فورة الشباب لا بدّ من أن يُدخل السرور الى قلوبنا في بعض الليالي، لكن هذه المتعة لا تدوم، ولا تلبث أشواقنا أن تهمد، وبعد الليالي الملاح تتدفق علينا الأيام الصعبة. وتتبعها الهموم والبلايا لتلوّع الشبّان التُّعساء الذين يحلّ عليهم غضب والديهم، إذ يأكل الآباء الحصرم والأبناء يُضرسون.

لِيانْدر : من كل هذا الحديث لم أستمع الى أي تفصيل جديد. أنا أعلم جيداً أني غير أهل لأي مديح، وأرى بوضوح ما تستحقّه فضيلة ابنتك. لذا أحاول أن ...

أَنْسيلْم : ها هو الباب قد فُتِح. فلننسحب الى مكان بعيد، خوفاً من تسرّب سرّ يسبّب لنا الهلاك كالسمّ الزعاف، فيما لو فاجأنا أحد واستمع اليه.

المشهد الرابع

لالي، ومسكاريل

مَسْكاريل : عمّا قريب سترون حِطّام هذا الخبيث، اذا واصلنا ارتكاب حماقات جسيمة كهذه.

لالي : هل يتحتّم عليّ دائماً أن أستمع الى توبيخاتك ؟ قلْ لي، ممّا تشتكي ؟ أولم أنجح في كل ما صنعته منذ ذلك الحين ؟

مَسْكاريل : لقد كان نجاحك بين بين. والدليل على ذلك، هؤلاء البرابرة الذين أقسمت وأكّدت أنهم كَفَرة، لأنهم يعبدون الشمس والقمر، ويمكن غضّ النظر عن ترّهاتهم. وما يضايقني جداً هو أن الحب في نظر سيلي معرّض للنسيان بصورة غريبة. فهو كالحساء الذي يغلي في القدر على النار ؟ ويفور ثم يندلق على الأرض من جميع الجهات.

لالي : وهل يجوز أن يضبط الانسان عواطفه أكثر مما يستطيع في الحقيقة ؟ فأنا لا يسعني أن أصنع أكثر مما في طاقتي.

مَسْكاريل : ليس المهم أن نمتنع عن الكلام. فإن حركاتك أثناء تناول الطعام كشفت عن ظنونك، بعدّة حركات متتالية أكثر ممّا يصدر عن سواك خلال سنة كاملة.

لالي : كيف لاحظت ذلك ؟

مَسْكاريل : كيف ؟ معظم الحاضرين لاحظوا ذلك. فالى المائدة حيث الحّ تروفلدان على إجلاسك، لم ترفع نظرك عنها، وأنت مورّد الخدَّيْن شاخص العينَيْن إليها، لا تأبه لما يُقدَّم لك من طعام، ولا تشعر بالعطش إلّا حين تشرب هي. فتأخذ القدح من يدها، وبدون أن تغسله أو تدلُق ما بقي فيه، تشرب حتى الثمالة، وتتعمّد ان تلمس شفتاك الحافّة التي تجرّعت هي منها، والأطراف التي لامستها يدها، بلهفة تفوق تمسّك الهرّة بمداعبة الفأرة المسكينة. وكنت تبتلع المشروب كأنه ترياق شافٍ. وعلاوة على كل ذلك دسْتَ على قدم تروفلدان مرّتين بصورة آلمته. فنهض وضرب كلبَين بريئين للتشفّي، ولو تجاسر لكان

شاجرك. وبعدما فعلت كل هذا، هل تعتقد أن سلوكك كان لائقاً ؟ بالنسبة اليّ، أنا تضايقت جداً، ورغم البرود الذي كان يهيمن على الجوّ، تصبّب العرق من جبيني خجلاً، لأني أودّ أن يظلّ معزّزاً مكرّماً. بدون أن ينظر إليك المدعوّون شذراً.

لالي : يا إلهي. ما أوفر ظنونك وأسوأ أفكارك، وأنت لا تقدّر ظروفي. كم شئت أن أراضيك ولو مرة واحدة، بإظهار ما أكنّه لك من الحب الذي يفيض به صدري. فمن الآن وصاعداً ...

المشهد الخامس

لالي، ومسكاريل، وتروفلدان

مَسْكاريل : كنّا نتكلم عن أفراح هوراس.

تُروفَلْدان : حسناً فعَلْتُم. لكن اسمحوا لي أن أوجّه اليه كلمة على انفراد.

لالي : تفضّل، لأننا لا نريد أن نبدو متطفّلين.

تُروفَلْدان : إسمع. هل علمت بما فعلتُه انا الآن ؟

مَسْكاريل : لا، لم أعلم. غير أني سرعان ما أعرفه بدون شكّ.

تُروفَلْدان : لقد قطعتُ غصناً من شجرة بلّوط، يُقال ان عمرها يناهز مئتَيْ سنة. ولقد انتقيتُه من ضخامة معيّنة، وصنعتُ منه قضيباً على الفور تقريباً بهذه الغلاظة، وتركته منتفخاً في أحد طرفَيْه، لكي يهدّ الكتف إذا سقط عليها بما فيه من ثقل وعِقَد.

مَسْكاريل : أرجوك ان تقول لي لمن أعددته ؟

تُروفَلْدان : لك أوّلاً، ثم لهذا المُرسَل الذي يُريد أن يحتال عليّ، لهذا البربري المتنكّر بزيّ تاجر، ويحاول أن يتدخّل في ما لا يعنيه.

مَسْكاريل : ما هذه الحركة ؟ ألا تصدّقني ؟

تُروفَلْدان : لا تبحثْ على أعذار. فلقد كشف هو بذاته عن خداعه، اذ أوعز

الى سيلي، وهو يصافحها، بأنه جاء لأجلها بهذه الحجّة الباطلة، لأنه لم يشاهد جانيت ابنة أخي. وأنا لا أشك بمكره، مهما أحاطه بالكتمان. ولا اظن أنك شريك في مؤامرته الدنيئة.

مَسْكاريل : انت ترتاب فيّ وتنسب اليّ ما لا أثر لوجوده. صدّقني إن قلتُ لك إني أنا أول ضحاياه في هذا الأسبوع.

تُروفَلْدان : هل تريد ان تقنعني بأنك صادق في إدّعائك ؟ إذاً ضعْ يدك في يدي لنطارد هذا اللعين ونعاقبه على جريمته المنكرة ونلقّنه درساً لا ينساه ما دام على قيد الحياة.

مَسْكاريل : نعم، بكل طيبة خاطر سأقترن بها، وأُثبت لك، أيها البربري، انك هدّام المشاريع الخيّرة، وأجزيك ضرباً وتعذيباً على نواياك السيئة.

المشهد السادس

لالي، وتروفلدان، ومسكاريل

تُروفَلْدان : من فضلك أنصتْ اليّ. أريد أن أقول لك كلمة وجيزة. انت اذاً، أيها الجاحد المخاتل، تتجاسر اليوم وتخدع رجلاً شريفاً وتسخر منه.

مَسْكاريل : لقد إدّعيت بأنك أبصرت إبنه في بلد غريب، لكي تنال حظوةً في عينيه.

تُروفَلْدان : أفصحْ، أفصحْ حالاً عمّا في ضميرك.

لالي : تبّاً لك من سافلٍ حقير.

مَسْكاريل : أهكذا تَصِفُني ؟ قبحاً لك من منافق خبيث.

لالي : بل قبحاً لك أنت من عقوق ناكر الجميل.

مَسْكاريل : إنسحبْ، هيّا انسحبْ. وإلّا أنزلت بكَ ضربة قاضية.

تُروفَلْدان : تصرّفكَ يُعجبني كثيراً. أدخل، أنا مسرور.

لالي : هل بلغ الأمر حدّاً جعل الخادم يهين سيده ؟ وهل يُصدّق أحد أن ذلك

ممكن ؟ تبّاً لك من خائن حقير، تُعامل سيدك بهذه الوقاحة.
مَسْكاريل : أودّ ان اسألك : كيف حال ظهرك الملسوع ؟
لالي : أوَلا تكفّ عن كلامك البذيء المهين ؟
مَسْكاريل : هذه نتيجة عدم مشاهدتك جانيت، وقلة صيانة لسانك الطويل. لن أغضب عليك هذه المرة، ولن أهينك مهما أتيت من حماقات. لأن يدي القاسية التي دغدغت ظهرك بالقضيب قد غسلتْ غلطك.
لالي : سأنتقم منك على معاملتك الشرسة.
مَسْكاريل : أنت جلبتَ الويل لنفسك.
لالي : انا ؟
مَسْكاريل : لو لم تكنْ مهووس المزاج حين تحدّثتَ من مدة الى معبودتك، لكنتَ شاهدت جانيت تجثو عند قدمَيْك. لأن أذنيها المرهفتَيْن سمعتا كل أقوالك التي تدينك.
لالي : وهل بلغها ما خاطبت به سيلي ؟
مَسْكاريل : ومن استطاع ان يسمع كلمة من هذا الحديث ؟ لم ينكشف سرّك إلّا عندما تبجّحت أنت به علناً. أنا لا أعرف إن كانت ألاعيبك دوماً ناجحة. لكن، كان عليك هذه المرة ان تتحفّظ وتتّخذ حذرك.
لالي : تبّاً لك من شقي متطفّل. لماذا تلاحقني وتضايقني هكذا ؟
مَسْكاريل : لم يظهرْ منّي أي دليل على تدبيري هذا الشرك أو مساهمتي في نصبه.
لالي : كان عليك أن تخفّف ضربتك.
مَسْكاريل : قبحاً لك من غبيّ. كان تروفلدان يسترق التسمّع اليك، وكنت أنا أنبّهك بهدوء الى أن مسعاك غير مثمر. لكن الأمر قد تمّ على هذه الصورة. فلم أستشطْ غيظاً. وأنا لا أرغب في ان ترتدّ التبعة اليّ رأساً أو بصورة غير مباشرة. وأعدك بأني قبل انقضاء ليلتَيْن ستلاقي ما لا يرضيك.
لالي : مهما بلغ تصرّفك من الخشونة والشراسة، فإن وعيدك هذا لا يخيفني.
مَسْكاريل : إستعدّ إذاً لتلقّيه.
لالي : أجل، أعدك بكل تأكيد.

مَسْكاريل : هذا ليس كل ما في الأمر. عليك أن تعدني وعداً صادقاً بأنك لن تتدخّل بتاتاً في كل ما افعله.
لالي : أعدك.
مَسْكاريل : وإذا أخلَلْتَ بتعهّدك، ستقع في شرّ أعمالكَ.
لالي : أرجوك أن تفي بتعهّدك، وأن تريحني من خداعك ومن عنفك.
مَسْكاريل : هيّا إخلع ثيابك إذاً، وادهن ظهرك بالزيت لتلقّي الضربات.
لالي : هل كُتب عليّ أن لا أتخلّص من ورطة حتى أُبْلى بأشنع منها.
مَسْكاريل : ماذا تقول ؟ أنت لست بعيداً عما تتوقعه لنفسك. هيّا أُخرجْ من هنا سريعاً. وحذار أن تهتمّ بالأمر. لأني أنوي إجبارك على العدول عن عاداتك السيئة. فاخلُدْ الى الهدوء ولا تتدخّل بعد الآن في ما لا يعنيك كي لا تلقى ما لا يُرضيك.
لالي : كن على يقين بأني في هذه المرة سأمتنع نهائياً عن كل نشاط.
مَسْكاريل : وسترى منذ الآن اي طريق سأسلك لبلوغ مرامي.

المشهد السابع

أنْكاسْت، ومسكاريل.

انْكاسْت : جئت أنقل اليك خبراً غير سارّ يضرّ بمشروعك. ففي هذه اللحظة، هناك صبيّة مصرية غير سوداء اللون، وهي طيبة العنصر، ستصل الى هنا بصحبة عجوز شمطاء آتية لتشتري من تروفلدان هذه العبْدة التي تميل أنت اليها، ويعاملها هو بمنتهى الرقّة.
مَسْكاريل : بدون شكّ هذا هو العاشق الذي تحدّثتْ عنه سيلي. فهل سيكون مصير هذه الفتاة أسوأ من مصيرنا ؟ فنتخلّص من تلك المشكلة لنقع في سواها. خطأً فهمنا ان لياندر على وشك أن يتنازل عن القضيّة، كَيْ لا يضايقنا

أكثر مما فعل، وأن والده وصل خلافاً لكل التوقّعات، وأخذ يلقي بكل ثقله، لكي تميل كفّة الميزان لصالح هيبوليت التي غيّر موقفها بما له من سلطة على ابنه. وراح منذ هذه الساعة يتمّم الصفقة. وهكذا نرى خصماً يبتعد ليحلّ محلّه آخر أدهى منه، يطيح بما تبقّى من الآمال التي عقدناها. على كل حال هناك فكرة خطرت ببالي، وأعتقد أن بإمكاني أن أؤخر الانطلاقة الجديدة، فتتاح لي الفرصة والوقت اللازم لأُنهي هذه المسألة الخطيرة. مع ان خصمنا خطا خطوة كبيرة لا أعرف عنها أي تفصيل. لأن هؤلاء المزاحمين قلّ ان يتصرّفوا برصانة. وأنا استناداً الى ارتيابي في مقصدهم أودّ أن أحجز هذا المخاتل المحتال، وسأدعو بعض رجال الأمن الى اعتقاله وشلّ نشاطه الهدّام. وظاهراً أتصدّى لمحاولات غير بريئة يقومون بها ليجبروه على فتح محفظته ودفع المبلغ الذي يطمعون به.

الفصل الخامس
المشهد الأول

مسكاريل، وانكاسْت

مَسْكاريل : ايها الأحمق الخسيس، هل ستدوم مناوأتك إياي الى الابد ؟

انْكاسْت : بفضل المشوَّه الوجه، كانت قضيّتك سائرة في طريق الحلّ. ولولا تشويش البليد المسجون الذي اعترضه سيّدك بذاته، وفشّل خطّته، لم يكن لينجح كما صرّح بصوت عال أثناء استدراج رجل شريف الى دروب الشرّ والعار. انا مسؤول عن النتيجة المتوقعة. وبما أنه قاوم إطلاق سراحه، عارضه رجال عاديّون، ما لبثوا ان هربوا خوفاً على رؤوسهم من أن تتدحرج وتتحطّم. وها هو الآن لالي قد لحق بهم.

مَسْكاريل : ألا يعلم الخائن السافل أن هذا المصري قد سُجن لأنه سرق أمواله ؟

انْكاسْت : الوداع، لأني مضطر الى الذهاب بدون إمهال.

مَسْكاريل : نعم، انا متعجّب من كرم هذا الأخير. كأني مقتنع بأن هذا الشيطان اللعين لا يسرّه إلا أن يجابهني ويضايقني في كل مكان، وهو قادر على الإضرار بي. مع أني سألاحقه، ورغم كل الوساطات سأريه من منّا يستطيع الاحتفاظ بالصبيّة سيلي التي تفاهمنا وإيّاها، وهي لا ترضى بالرحيل إلّا مرغمةً. على كل حال سأحاول اغتنام الفرصة ــ لكن ها هم قد أتوا ــ وأنا أفكّر بالتنفيذ. فهذا المنزل المفروش يخصّني، واستطيع ان استخدمه بحريّة

تامة. واذا ساعدتنا الظروف يتمّ الأمر على ما يرام. ولا أحد سواي يتسنّى له المكوث فيه، ما دام مفتاحه بحوزتي. يا إلهي، كم رأينا من مغامرات، وكم من الخبثاء الدجالين اضطرّوا الى تغيير سِحَنهم حيالنا.

المشهد الثاني

سيلي، وأنْدريس

أَنْدريس : كما تعلمين، يا سيلي، لا يمكنني أن أعبّر لك عمّا يطفح به قلبي من محبة خالصة. مع أن أهالي البندقية، منذ حداثتي، قد اضرموا في صدري روح الشجاعة. وكنت أفاخر في خدمتهم بما أتيته من إنجازات مشرّفة. فعندما لاحظوا تحوّلي السريع، اصبح عاشقك من المعجبين، بدون أن يَحُول مئة حادث أو تبديل دون مثابرتي على حبك. ومهما كانت الأحوال صعبة لا يسعني أن أظلّ بعيداً عنك. أخيراً بعد أن عثرت على هذه المرأة المصرية المسنّة، عرفت مصيرك وأنا على أحرّ من الجمر أسعى الى إنقاذك من الهلاك الذي يتهدّدك، لأنك أصبحت رهينةً بين ايديهم. وها قد بادرتُ الى كسر قيودك لأتلقّى منك الأوامر وأفعل ما يُرضيك. وهكذا تخلّصت من الحزن الذي سيطر عليّ، بينما أنا أبصر في عينيك بريق الأمل والسرور. ومهما قَسَتْ عليّ مدينة البندقية وجرّدتني من خيراتي، سأجد ما يؤمّن كفافي لكي اعيش بقربك فيما تواصلين مسيرتك الى جانبي، وأنا قانع وقلبي مبتهج، أَسْعَدُ بجوارك وبتحقيق أحلامك وأمنياتي.

سيلي : هيامي بحبّك ظاهر للعيان. وإن بقيتُ حزينة اكون عاقّة وصدري خالياً من العطف والحنان. فلا تحاول سبْر أغوار فؤادي بهذه المناسبة، لأن تذكارات العنف لا تزال تؤلمني وترهقني، وإن كان لي عليك بعض الدالّة، سيطول قلقنا بضعة ايام اخرى فقط. فما علينا إلّا ان نصبر ريثما يسلك مصيرنا درب الهناء.

أَنْدريس : مهما بدر منك من أفعال، قلبي مصمّم على نيل رضاك. فلنبحثْ عن بيت ترتعين تحت سقفه آمنةً سعيدة. أترين هذه اللافتة التي تلوح لأنظارنا ؟ إنها تشير إلى ضالتنا المنشودة.

المشهد الثالث

مسكاريل، وسيلي، وأَنْدريس.

أَنْدريس : أيها الحارس، هل هذا منزل سيّدك ؟

مَسْكاريل : هل من خدمة أؤدّيها لكما ؟

أَنْدريس : أنستطيع أن ندخل ؟

مَسْكاريل : أجل، يمكنكما أن تعيشا هنا في الغرف الواسعة.

أَنْدريس : أظن أن الإقامة هنا لا تثير المتاعب.

مَسْكاريل : يظهر عليكما أنكما غريبان عن هذه الديار.

أَنْدريس : اجل.

مَسْكاريل : هل السيدة هي زوجتك، يا سيدي ؟

أَنْدريس : ماذا تقول ؟

مَسْكاريل : هل هي زوجتك أمْ شقيقتك ؟

أَنْدريس : كلّا، لا هذه ولا تلك.

مَسْكاريل : في الحقيقة، أنا لا أفهم ما تعني. هل عليّ أن أساوم أو ان أسأل عن إمكانات قصر العدل ؟ فالدعوى تكلّف كثيراً من المال، والنائب العام كاللص، والمحامي وسيط لئيم.

أَنْدريس : لا حاجة لهذا الانفعال.

مَسْكاريل : انت اذاً تأتي للنزهة وللتمتع بمشاهدة معالم المدينة.

أَنْدريس : ما همّك أنت ؟ سأكون بتصرّفك بعد لحظة. وسأنادي العجوز لتأتي على عجل، فتطلب منها تأجيل رحيلكما، لأن العربة غير جاهزة.

مَسْكاريل : هل السيدة منحرفة الصحة ؟
أَلْدريس : هي تشكو الصراع.
مَسْكاريل : سأجلب لكما بعض الخبز والجبن اللذيذ. فأرجوكما أن تدخلا بيتي الصغير.

المشهد الرابع

لالي، واندريس

لالي : مهما كان تأثّر نفسي المتلهّفة عظيماً، فإن وعدي يضطرني الى الانتظار. أتركُ سواي يسعى بدون أن أجسر على القيام بأي عمل، كأن السماء حكمت عليّ بأن أتّصل بشخصٍ معيّن داخل هذا المنزل.
أَلْدريس : منذ هنيهة إستأجرت أنا هذا البيت المفروش.
لالي : هذا المنزل يخصّ والدي، ويحرسه خادمي أثناء الليل.
أَلْدريس : لا علم لي بذلك. هذه اللافتة تشير الى أنه للإيجار، ويمكنك أن تقرأها.
لالي : أنا أعترف بأن الأمر أدهشني. لماذا ؟ ومن يريد تأجيره ؟ ربما حزرت السبب. جعل الله الباعث على ذلك خيراً.
أَلْدريس : هل لي أن أسألك أن تشرح لي ما الداعي لهذه المغامرة ؟
لالي : لغيرك أترك الأمر طيّ الخفاء. لكن لأجلك، لا يسعني إلّا أن أكشف الحقيقة برمّتها. بدون شك تشير هذه اللافتة الى بعض الأسباب التي دعت الخادمِ الى استنباط حجج واهية. لأن عِقداً مستعصية قد استُحدثتْ لوضع صبيّة مصرية تحت إشرافي. فوقعتُ في هواها، ولا بدّ لي من الحصول عليها. ولقد حاولت مراراً، ولم أتوفّق.
أَلْدريس : ما اسمها ؟

لالي : سيلي.
أندريس : لماذا لم تخبرني بالأمر في حينه ؟ لكنت حتماً وفّرت عليك ما كلّفك هذا الى الآن من بحث وعناء.
لالي : ماذا تقول ؟ هل تعرفها ؟
أندريس : انا آتي للبحث عنها.
لالي : ما هذا الكلام المذهل ؟
أندريس : نظراً الى انحراف صحتها، اضطررت الى إبقائها في هذا المنزل. كم أنا مسرور في هذه اللحظة لاطّلاعي على ما تنوي فعله.
لالي : ماذا تقول ؟ هل أتوصّل بواسطتك الى بلوغ مرامي ؟ يمكنك ...
أندريس : لن تلبث أن تنال مرادك بعد فترة قصيرة.
لالي : كم أنا مدين لك ؟ وكيف يتسنّى لي أن أشكرك ؟
أندريس : لا شكر على الواجب. ولا داعي لاعتبار نفسك مديناً.

المشهد الخامس

مسكاريل، ولالي، وأندريس.

مَسْكاريل : ها هو سيدي الذي سيقوم بالنسبة إلينا بدور غريب.
لالي : من سيعرفه بهذه الملابس العجيبة ؟ إقترب، يا مسكاريل. أهلاً بك.
مَسْكاريل : أنا رجل شريف، ولست متسوّلاً شريراً أعتدي على الأرض على الأعراض والأرزاق.
لالي : تبّاً لهذا المحتال الذي يتظاهر بحسن النيّة والصلاح.
مَسْكاريل : جئت الى هنا لأتنزّه، فلا تهزأ بي.
لالي : هيا إنزع القناع عن وجهك، وتعرّفْ الى سيدك.
مَسْكاريل : يبدو عليك أنك شيطان رجيم، ولن اتقرّب إليك.
لالي : كل المسائل أمست على ما يرام، ولا لزوم الى تنكّرك هكذا بعد الآن.

مَسْكاريل : اذا لم تشأ أن تذهب، ستتعرّض الى لطمة عنيفة تدوّخك.
لالي : كلامك المبهم لا يفيدك. لأننا إتّفقنا، ولم يعد من موجب لما تتذرّع به من الحجج. إذْ سُوِّيتَ أوضاعنا، ولا سبيل لأي خلاف ان ينشب بيننا في المستقبل.
مَسْكاريل : اذا وافقت على التسوية، لا حاجة للتخفّي، وسأعود الى شخصيتي المعتادة.
أُلْدريس : هذا الخادم يرعى مصالحك بأمانة. وأنا لن ألْبث أن أرجع اليكما. فامكثا هنا ايضاً بعض الوقت.
مَسْكاريل : كم أنا مرتاح الى هذه الخاتمة السعيدة.
لالي : كنت تودّ ان تكشف عن تنكّرك، وأنا لم أصدّق نجاحك بهذا المقدار.
مَسْكاريل : لم أعرفك في بادئ الأمر. وكدت أخاف ان تفاجئكما مغامرة مزعجة.
لالي : إعترفْ أخيراً ان القصة طال مداها. على الأقلّ كفرّت عن غلطي في هذه اللعبة. ويسرّني أن تكون القصة قد انتهت بسلام.
مَسْكاريل : يبدو عليك أنك سعيد هكذا اكثر من أن تصبح حكيماً عاقلاً.

المشهد السادس

سيلي، ومسكاريل، ولالي، واندريس

أُلْدريس : هذا ليس الموضوع الذي كلمتني عنه.
لالي : ما اسعدني الآن، وليس ما يعادل بهجتي في هذه اللحظة.
أُلْدريس : انا مدين لك بجميل هامّ، إن نسيتُه أكون عقوقاً. ولهذا المعروف فَضْل كبير، إن لزم الأمر أن أدفع ثمنه من حبّي باهظاً، ما تأخّرت لحظة. فتأمّل، في أي سجن يحبسني جمالها. وأنا مستعدّ لأنْ أردّ لك جميلك مهما

غلت التضحية. ولأنك كريم لن ترضى بأن يكون الثمن باهظاً الى اللقاء بعد بضعة أيام. فلنعدْ الى حيث كنّا.

مَسْكاريل : أنا أمزح، على كل حال، وإن كان الوقت لا يساعد على ذلك. ها أنتما متّفقان، هو يعطيك سيلي و ... هل سمعت ما اقول ؟

لالي : هذا كثير، ولا أريد هذه التضحية. أنت تودّ أن تساعدني بطريقة لا أرضاها. فأنا عقوق، وأنت دجّال بطّاش لا تستحقّ بذْل اي جهد في سبيلك. قلَّ في هذه الأيام من يتألّم لإسعاد سواه. اذاً عليك أن تُقلع عن أي سعي لاسعاد انسان منكود الحظ. وبعد كل هذا الشقاء، وقلّة الحرص، عليّ أن أتحمّل المسؤولية، ولو اقتضى الامر أن اضحي بحياتي في سبيل سلامتك.

مَسْكاريل : هذه هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هدفه. ولم يبقَ له إلّا أن يموت أخيراً، تتويجاً لجميع معضلاته. لكن عبثاً يحاول التكفير عن أخطائه الماضية، وإن لم يقدّر عنايتي ومساعدتي. أريد مهما كلّف الأمر ان اخدمه رغماً عنه. وخلافاً لما نالني من مساوئه أودّ أن أكون منتصراً. فبمقدار ما تكون العقبة جسيمة يكون المجد عظيماً. وبقدر ما تكون التضحيات مُضْنِية، تتحلّى السيدات المتبرّجات بالفضيلة.

المشهد السابع

مسكاريل، وسيلي.

سيلي : مهما قُلْت أنت، ومهما افترض سواك، لا انتظر الكثير من هذا التأخير. لأن ما يتحقّق من النجاح يكفي للإقناع بأن المتنازعين لا يزالون على خلاف كبير. ولقد قلت لك إن قلباً نظير قلبينا لا يسعه أن يكون سبب شقاء الآخرين. ومن جرّاء تبايُن العِقَد أجدُني مرتبطاً بكما معاً. فاذا كانت سيلي تحبّه وتسيطر على عواطفه، فإن أندريس يقدّر هذا الموقف، ولا يطيق أن تسيء نواياه المُضْمَرة

الى أعزّ مصالحه. نعم اذا لم يكن له من مكان في فؤادها، واذا كانت هبة قلبها لا تتوّج هواها، على الأقلّ أستحقُّ أنا هذا البذل كثمن لاخلاصي ووفائي. فلن أختار حبيباً سواه لقاء ما يجود به من محبة وأمانة. وهذا هو أقلّ ثمن تستحقّه مبادلة عنفه بأطيب تمنياتي. فهذه الصعوبات تعزّز واجبي، وعليك أن تحكم كم يتطلّب صبري من ثواب.

مَسْكاريل : في الحقيقة، هذه عقبات كأداء في سبيلي أنا الذي لا يسعني أن أجترح المعجزات. لكني مع ذلك سأبذل ما يمكنني من الجهد، وسأهزّ الأرض والسماء، وأبحث في كل الجهات محاولاً أن أجد زاوية مسالمة، وأعلمك بما سأفعل قريباً.

المشهد الثامن

سيلي، وهيبوليت

هِيبوليت : منذ إقامتنا هنا وسيّدات هذا المكان يشكين بحقّ من سحر عينَيْك. فاذا سرقتِ بلحظك قلوب من يحيط بهن من عشاق غير أوفياء، فليس هناك من محبّ يقوى على النجاة من شرّك، بسبب ما برعتِ به من غزو العواطف والإغراء. ورغم ما يَتُقْنَ اليه من الانعتاق من قيودهنّ وحبائلهنّ المنصوبة ببراعة على الدو م، تزيد كل يوم مقدار خسائرنا. أمّا أنا على كل حال، فلا أتذمّر من سلطان هواهنّ. حتى إذا أصبح عشاقي ممّن يبغون رضاكِ، فهناك حبيب واحد يعزّيني عن سائر من يخطبون ودّي. لكنك أنتِ بطريقة غير إنسانية تستولين على قلوبهم، وهذا ما أشكو أمري اليك من جرّائه.

سيلي : هذه سخرية لبقة أرجوك أن لا توجّهيها اليّ، لأني لا أستطيع مقاومة عينيك الساحرتين اللتين تسلّطيهما على قلب حبيبي الضعيف الارادة الذي تستميلينه اليك بلمح البصر.

هِيبوليت : مع ذلك هذا حديث لا يفيدني، ولا حول لي أن أتراجع عنه.

وبدون أن أتكلّم عن الباقي، أنا عارفة، يا سيلي، بأنكِ تحدّثتِ عن اشواقك الى لياندر ولالي كلٍ على حدة.

سيلي : انا واثقة ؟ بعدما أصابني من العماهة، إنك ستتعزّيْن بسهولة عن فَقْد حبيبك وستلاقين الحبّ الذي لا أتمنّاه لك، لأنه يخالف ما تصبْبين إليه لقلّة ملاءمته مزاجك.

هِيبوليت : بالعكس، أنا أتصرف بصورة تغاير ما تتحدّثين عنه، وأجد في جمالك ما يستحقّ الإعجاب والتقدير. فأنا أرى من خلاله ما يجدر بي أن أدافع عنه وأحتفظ به في أعماق كياني. لأن عدم الاستقرار يذهلني، فألوم نفسي على ما ينتابني من أشواق جديدة، وميول جارفة نحو لياندر الذي كَبَتَ عواطفه. وسألتقي به قريباً بدون حقد ولا حسد، وأعيده الى الخضوع لشريعتي بما لوالدي من سلطان ونفوذ على أوضاعنا نحن الاثنَيْن.

المشهد التاسع

مسكاريل، وسيليّ، وهيبوليت

مَسْكاريل : جئت الآن أعلمك بنبأ مدهش ونجاح باهر.

سيلي : ما هما ؟

مَسْكاريل : إسمعي، هذه بدون تبجّح ...

سيلي : ماذا تقصد ؟

مَسْكاريل : نهاية مهزلة حقيقية. العجوز المصريّة في هذه الساعة ...

سيلي : ما بها ؟

مَسْكاريل : إنزلي إلى الساحة، ولا تهتمّي. بينما عجوز اخرى مجعّدة الوجه، مشعّثة الشعر، نظرت اليها طويلاً بدهشة واستغراب، وكالت لها مسبّات وإهانات مُخزية كأنها اطلقت إشارة لبدء قتال شرس بأسلحة مختلفة، من

سيوف وخناجر وسِهام ورماح. واذا بأربعة أنياب حادّة تبرز بين المتقاتلين وتغرز في اللحوم البشرة حتى تصل الى العظم، وتبادل كلمات نابية : كلبة، ذئبة ضَبْعَة. وما لبثت ان تطايرت المناديل في الهواء وانكشف رأسان عاريان انتصب شعرهما المشعّث. فسارع اندريس وتروفلدان على صوت الضجة وتقاطر الناس حولهما. فحاول الرجلان أن يباعدا الواحدة عن غريمتها بدون جدوى لأن العقول إلتهبت والايدي تشابكت والمزاجات تعنّتت. مع ذلك، بعد هذه العاصفة، حاولتْ كل منهما ان تخفي رأسها المكشوف وعارها المفضوح. واذا بالتي بدأت تلك المعركة رغم الغضب الذي استولى عليها، صرخت : أنت الذي أثرت هذا الخلاف ونفخت نار الحقد والكراهية. تبّاً لك من مُشاغب بغيض أيها السيد زينوبيو روبرْتي. إن الثروة التي جمعتها انت بالحرام أنبأتني بأن لا ضمير يردعك ولا إنصاف يرشدك الى عمل الخير. فلقد غادرت أهلك في نابولي، وبكل الوسائل طوال أربعة أعوام أبديت ظاهراً كل إنسانية ومروءة، وتصرفت باطناً كساحر دجّال لئيم. ومكثت في بيتنا ضيفاً مكرّماً، فما لبثت أن غدرت بنا. سرقت مالنا يا للأسف، وسُمْتَ زوجتك مرّ العذاب، وعجّلت قدوم موعد أجلها، الى أن حرّضْتَ على اختطاف هذه الفتاة. وخوفاً من الملامة والعقاب أعلنتَ موت الأم وابنتها. لكن، لا بدّ الآن، وقد نلتَ مأربك، من أن أسألك : ماذا حلّ بهما ؟ فباسم زينوبيو روبرْتي الذي ردّد صوته مراراً أثناء سرْد هذه القصّة، اسم اندريس الذي غيّر الزمان ملامح وجهه، فخاطب تروفلدان، بهذه اللهجة القاسية : ماذا فعلتَ، يا جبان ؟ فالسماء هَدتْني اليك أنت الذي بحثتُ عنك عبثاً حتى هذه الساعة، وقد أبصرتك بدون أن أعرفك مع أن دمك يَسْري في عروقي لأنك أنت علّة وجودي. أجل أنت أبي، وانا هوراس ابنك، وكان الاستاذ ألْبير يحتجزني. وحين ولّت أيام شقائي، شعرتُ كأني وُلدتُ ثانية، وغصّةُ الأسى تخنقني، والقلقُ يحزّ في صدري. فغادرتُ مدينة بولونيا وتخلّيتُ عن دراستي، وتنقّلتُ طوال ستة أعوام في أماكن مختلفة حسب ما أوحى اليّ به حنيني. مع ذلك، بعد مرور هذا الوقت المديد سيطرتْ عليّ رغبة غامضة قويّة جعلتني أتوق الى أهلي ووطني. لكني يا للأسف، لم أجد لك أثراً حتى تلقّيت طلبك بعد عذاب

أليم، ووصلت الى مدينة البندقيّة إثْر اسفار طويلة مرهقة. وعشتُ منذ ذلك الحين في بيتي لا أعرف مقرّك، ولا أسمع بذكرك. والآن أترك لك الحكم على قضيّة تروفلدان الشائكة. وأخيراً، بغية البتّ في وسيلة لتوضيح الأمور باعتراف فتاتك المصرية، تعرّفنا الى تروفلدان الرجل الغريب المتستّر، والى أخيك اندريس. وبما أنه لم يعد بإمكانه التنصّل من شقيقته، شعر بواجبٍ لا يسعه أن يتجاهله، يجعلكِ، يا سيلي، زوجة سيدي لالي. وها هو والدك يشهد بصحّة اقوالي هذه. فعليك أن تباركي هذا القران. ولكي يفرح جميع أفراد الاسرة، إقْتَرَحَ زفّ ابنتِه الى هوراس الذي اهتدينا إليه أخيراً. وهكذا ساعدتِ الظروف على جلاء هذه الحكاية العويصة التي كنا نجهلها بحذافيرها.

سيلي : أراني واجمة أمام هذه الأحداث المتسارعة المتشابكة التي شلّت تفكيري وطغت على بصيرتي.

مَسْكاريل : إتبعوني كلّكم، ما عدا بطلَيْنا اللذين يكادان يعودان الى رشدهما بعد هذه المعركة الضارية التي اشتركت فيها لياندر كفريق، وكذلك والدك كفريق آخر. وأنا أتعهّد بأن أُطلِع سيدي على خاتمة مأساته التي منّت علينا السماء بعد كل هذه العراقيل بوضع حدّ لها بأعجوبة نادرة.

هِيبوليت : شدّة فرحي تُضعضع ذهني، وأنا أكاد أُصدّق كيف توضّحت الغوامض بعد طول تشابكها وإبهامها. ها هم أصحابنا قادمون.

المشهد العاشر

تروفلدان، وأنسيلم، وبندولف، إندريس، وسيلي، وهيبوليت، ولياندر

تُروفَلْدان : تعالي، يا ابنتي الحبيبة.

سيلي : والدي العزيز.

تُروفَلْدان : أتدرين كم غمرتْنا السماء بأفراحها ؟
سيلي : هنا بلغتني بعض تفاصيل المحنة التي انزاحت عنّا، واستُبدِلَتْ بهذه الفرحة العارمة.
هِيبوليت (**تُوجّه كلامها الى لياندر**) : باطلاً تدافع عن اشواقك، لأن ما تتكلّم عنه لا يزال ماثلاً أمام عينيّ.
لِيانْدر : أمّا ما أتوق انا اليه، فهو غفران كامل وصفْح شامل عن كل ما مضى. أسأل السماء بمناسبة هذه النهاية أن يوافق ابي على ما أنوي تحقيقه.
أَنْدريس (**يُوجّه كلامه الى سيلي**) : من كان يصدّق أن الطبيعة قد تنصف يوماً هذا الشوق والحنين. على كل حال تغلبتِ الظروف على صِعاب الامور، وردّت لكل ذي حقٍّ حقّه.
سيلي : أمّا أنا فقد لمْت نفسي وظننتُ أني مخطئة عندما شعرت نحوك بعاطفة سامية نبيلة. ولم أكن أدْري أي عائق جسيم يصدّني عن التقرّب اليك، ومنع فؤادي من الإقرار لك بما يضطرم بين ضلوعي من هيام جامح، حملني شعوري على التردّد بين كتمانه والبوْح به.
تُروفَلْدان : ها انتِ قد سوّيْتِ وضعك. فما رأيك إذا حرمني نصيبي من حبّكِ وعطفكِ، وارتبطتِ بإبنه حسب مواثيق الزفاف المبارك.
سيلي : مصيري الآن أصبح بين يديك، يا والدي الحنون.

المشهد الحادي عشر

تروفلـدان، ومسكاريـل، ولالـي، وانسيلـم، وبندولـف، وسيلـي، واندريس، وهيبوليت، وليـاندر

مَسْكاريل : سنرى إن كان شيطانك قادراً على تحطيم الأمل الوطيد بضربة قاضية. واذا كان أمام فيض الخير الذي تدفّق عليك، ستتجنّد مخيّلتك

لتكافحه، بعد أن تضافرت جهود مصيرك البهيج على تتويج حظك السعيد باقترانك الميمون بعروس أحلامك سيلي ؟

لالي : هذا صحيح، يا صهري العزيز.

بَنْدولْف : لقد قُضي الأمر ولا عودة الى الماضي.

أَلْدريس : وهكذا وفيتُ ما أنا مدين به لك.

لالي (**يُوجّه كلامه الى مسكاريل**) : لا بد لي من معانقتكم جميعاً، وطبْع ألْف قبلة وقبلة على وجناتكم بفرح وسرور ...

مَسْكاريل : آيْ، آيْ، أرجوك أن تتمهّل، فبضمّي هكذا الى صدرك تكاد تعصرني. أنا أخشى على سيلي حين تلاطفها من أن يخنقها الفرح على اثر معانقاتك. فبالله عليك أُرفقْ بحالها.

تْروفَلْدان (**يوجه كلامه ألى لالي**) : انتَ تعلم كم جادت عليّ السماء بالبهجة. وبما ان السرور غمرنا كلّنا في يوم واحد، علينا ان لا نفترق بعد الآن، وأن يعود والدها الينا سريعاً.

مَسْكاريل : ها قد اكتمل فرحنا. ولكن، ألّا توجد هناك فتاة تناسبني أنا ايضاً وتسعدني، فأجدني كغيري مشدوداً الى حبيبتي بوثاق الزواج ؟

أَنْسيلْم : لديّ طلبك كما تتمنّى.

مَسْكاريل : هيّا بنا إذاً. ولترزقنا السماء أولاداً تبهج أُبوّتنا وتُسعد بنوّتهم.

(**تمّت**)